كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

أنماط المفارقة في الحديث النبوي دراسة بلاغية

" صحيح البخاري أنموذجاً "

إعداد

د/ سامية عبدالحميد عبدالمجيد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الأربعون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الخامس)

(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

أنماط المفارقة في الحديث النبوي دراسة بلاغية
" صحيح البخاري أنموذجاً "

سامية عبدالحميد عبدالمجيد

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

البريد الإلكتروني:samiaabdelhamed.78@azhar.edu.eg

الملخص

يتناول البحث ظاهرة من أهم الظواهر البلاغية، ألا وهي أنماط المفارقة في الحديث النبوي، حيث نتعرض للتوجهات البلاغية لدراسة الحديث النبوي لدى البلاغيين القدماء والمحدثين، حيث اتسم الدرس البلاغي الحديث بتداخل الحقل اللساني مع المفاهيم البلاغية القديمة، مما فتح آفاقًا جديدة في الدرس البلاغي، مع التركيز على إبراز ماهية المفارقة، وأنماطها، وأثرها الدلالي في النص؛ كتمهيد للولوج في الموضوع محل الدراسة. ويتناول البحث المفارقة في اللفظ والتركيب في الكتاب محل الدراسة؛ خلال دراسة تحليلية للألفاظ والتراكيب في الأحاديث النبوية، وإبراز جوانب المفارقة فيها، مستفيدًا من آراء البلاغيين القدماء، في الطباق والتقابل، والتراكيب اللغوية، بالإضافة إلى لسانيات النص البلاغية، من بروز الجانب التداولي، ومراعاة آليات الخطاب في النص، بما انعكس على المفارقة، وأسهم إبرازها. ويتناول البحث المفارقة التصويرية في الحديث النبوي من التشبيه والمجاز والكناية، حيث تضافرت لسانيات النص مع النسيج التصويري لإبراز جانب المفارقة في النصوص المختارة، وإحداث التأثير المرجو في المتلقي. كما يتناول البحث مفارقة الموقف في الحديث النبوي، بحيث يتمكن المتكلم من استيعاب موقف كامل منتزع من البيئة المحيطة، مع القدرة على إبراز القضية المتناوَلة من خلال جانب المفارقة، ويعتمد عليها في إبراز ما يدعو إليه، حيث جاءت مفارقة الموقف،

في الحديث النبوي، على محورين: الأول: الأمور الدنيوية، وما يتعلق بمصالح المخاطَب في حياته.

الثاني: الأمور الأخروية، وما يتعلق بمصالح المخاطب بعد الموت. يناقش الباحث المحاور السابقة، ويسعى لإبراز جميع أنماط المفارقة، ويختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها.

الكلمات المفتاحية:

أنماط المفارقة، اللفظ، التركيب اللغوي، مفارقة الموقف، المصالح الدنيوية.

Patterns of paradox in the Prophet' s tradition (Hadith) : rhetoric study in Sahih al- Bukhari as a model

Samia Abdul Hamid Abdul Majeed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic Girls, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.
Email: samiaabdelhamed.78@azhar.edu.eg

Abstract:

The thesis deals with one of the most important rhetoric phenomenon. It is the patterns of paradox in the prophetic tradition and we are going to tackle the rhetoric orientation while studying the prophetic tradition for the traditional and modern rhetoricians . The rhetoric moral is characterized by mingling the linguistic field with the old rhetoric concepts. This led to opening new horizons in the rhetoric moral , side by side the concentration on paradox : its identity, patterns, the semantic effect on the text as an introduction for starting the subject we will study . The thesis deals with the paradox in the enunciating and structure in the book we study, through analytic study of the utterance and structures in the prophetic speech demonstrating the paradox sides in it benefiting from the opinions of traditional rhetoricians in the antithesis, antonyms and structures. In addition to the rhetoric linguistics of the text including the pragmatic eminence and caring for the text speech techniques. All these things are reflected on the paradox and means of its prominence. The thesis deals with pictorial paradox in the prophetic tradition including simile, trope and writing in which the text linguistics and pictorial structures to show the paradox in the selected texts are mingled to produce the hoped influence for the recipient. The thesis also deals with

the paradox in situations in the prophet' tradition (Hadith) so that the speaker can grasp the whole situation extracted from the surrounding environment with the ability of presenting the case through the tackled paradox, he depends on it to show what he needs. Paradox of situation in the prophet' s tradition comes from two themes: First, the world affairs and all that is related to the recipient' s objects in life؛ Second, the after life affairs and all that is related to the recipient' s objects after death. The researcher discusses the previous themes and he seeks to show all the patterns of the paradox concluding the thesis with the results he found.

Keywords:

Patterns of paradox, Utterance, Language structure, Situation paradox, World affairs.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانًا، وأعذبهم نطقًا، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وعلى آله وصحبه أجمعين . **وبعد**:-

ويظل الحديث النبوي الشريف المعين البلاغي الذي لا ينضب؛ إذ يجمع في طياته عمق اللفظ، وجزالة التركيب، والقدرة الفائقة على التصوير البديع بما يلائم المقام؛ " ولذلك السبب عينه كثر في البلاغة النبوية هذا النوع من الكلم الجامعة التي هي حكمة البلاغة، وهو غير ذلك النوع الذي تكون غرابته من تركيب وضعه في البيان، ثم هو أكثر كلامه صلى الله عليه وسلم"(١).

ولما كانت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم التي بعث من أجلها الدعوة والتبليغ حيث قال الله تعالى " يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ "(٢).

فقد أيَده الله بما يعينه على أداء هذه المهمة، فكان بيانه في أعلى درجات الفصاحة والإقناع، وقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم شاقة حيث واجهت عقولًا معاندة ، وأفكارًا قاصرة وكان همه صلى الله عليه وسلم تربية هذه النفوس وتهذيبها ، وتمكين الحقائق في نفوسها ، فجاء في بيانه جملة من الأساليب التي تناسب حال المخاطبين توضيحًا وإقناعًا ، وتقريرًا.

---

(١) تاريخ آداب العرب، تأليف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، دط، ٢/٢٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ٦٧

ومن هنا، جاءت هذه الدراسة تمثل جهدًا متواضعًا في دراسة أنماط المفارقة في الحديث النبوي الشريف، ودورها في إبراز الفكرة التي تناولها النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من أحاديث.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يجئ في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، فأما المقدمة : ففيها حديث عن أهمية الموضوع ، وخطته .

وأما التمهيد: ففيه حديث موجز عن ماهية المفارقة وأنماطها وأثرها الدلالى في النص، كما تناول أيضًا التوجهات البلاغية فى دراسة الحديث بين القدماء والمحدثين.

المبحث الأول: المفارقة اللفظية في الحديث النبوي الشريف واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المفارقة في اللفظ المفرد.

المطلب الآخر: المفارقة في التركيب.

المبحث الثاني: المفارقة التصويرية في الحديث النبوي الشريف، وجاء في مطلبين:

المطلب الأول: التصوير القائم على التشبيه

المطلب الآخر: التصوير القائم على المجاز والكناية

المبحث الثالث: مفارقة الموقف في الحديث النبوي الشريف، وجاء في مطلبين:

المطلب الأول: مفارقة الموقف فيما يتعلق بالأمور الدنيوية.

المطلب الآخر: مفارقة الموقف فيما يتعلق بالأمورالأخروية.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته

والله أسال أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسنات صاحبه. وأن يكون حجة لنا لا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى أهله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

(ماهية المفارقة وأنماطها وأثرها، والتوجهات البلاغية في دراسة الحديث النبوي بين القدماء والمحدثين)

ويشتمل على مطلبين:

١- ماهية المفارقة وأنماطها،وأثرها الدلالى في النص

٢- التوجهات البلاغية في دراسة الحديث النبوي بين القدماء والمحدثين

المطلب الأول

ماهية المفارقة، وأنماطها، وأثرها الدلالي في النص

ينحصر تعريف المفارقة فيما يلي:

أ- التعريف اللغوي: يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (فرق)، و"الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين"(١)، و"الفَرْق: تَفريقٌ بَين شَيئيْن فَرَّقا حتى يَفترِقا ويَتَفَرَّقا"(٢)، و"كلِ شَيْئَيْنِ فصلت بَينهمَا فقد فرَقتهما فَرْقاً"(٣)، و"قيل: فرق للصلاح فرقًا، وفرَّق للإفساد تفريقًا، وانفرق الشيء وتفرق وافترق"(٤).

ب- التعريف الاصطلاحي: يصعب تحديد مدلول محدد للمفارقة، على النحو الذي تباينت تعريفات القدماء والمحدثين له.

ويعرِّفها محمد العبد بأنها "صيغة من التعبير تفترض من المخاطَب ازدواجية الاستماع، بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيًّا يكمن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى يدرك أن هذا المنطوق، في هذا السياق بخاصة، لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحية"(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤٩٣/٤.

(٢) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٤٧/٥.

(٣) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ٧٨٤/٢.

(٤) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ٢٩٩/١٠.

(٥) المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، تأليف: محمد العبد، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص١٥.

ويدل التعريف السابق على طبيعة المفارقة، التي تحمل دلالات يقصدها المتكلم، تخالف الدلالات الظاهرة لكلامه، وهو ما اعتبره الجرجاني، من تفرقته بين المعنى، ومعنى المعنى، إذ يقول "المعنى، و معنى المعنى، تعني بالمعنى: المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ، والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ"(١).

كما راعى القاضي الجرجاني المتوفى٣٩٢هـ جوهر المفارقة، والشخص الذي يوردها في كلامه، بأنه "يحاجُّك بظاهر تحسُّه النواظر، وأنت تحيله على باطن تحصِّله الضمائر"(٢).

وفي هذا الصدد يعلِّق عز الدين إسماعيل على قول الجرجاني بقوله: "وكأن الجمال عنده كامن في البواطن، لا ظاهر فوق السطوح، وكأن إدراكه في مكامنه موكل إلى الضمائر البشرية"(٣).

فالمفارقة لا تُدرَك إلا بالوقوف على مراد المتكلم الحقيقي، ومردُّ هذا إلى الشعور وبحيث يندرج تحت قول أبي إسحق الموصلي: "إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة"(٤).

(١) دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ٢٦٣/١.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم- علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٤١٢.

(٣) الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، تأليف: عز الدين إسماعيل (ت١٤٢٨هـ)، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤م، ص١٦٦.

(٤) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٤م، ٤١٤/١.

مفهوم النمط

- لغة: يعود أصل اللفظ إلى الجذر اللغوي (نمط)، و"النون والميم والطاء كلمة تدل على اجتماع"(١)، و"يقال: الزم هذا النمط أي هذا الطريق. والنمط أيضا: الضرب من الضروب ، والنوع من الأنواع"(٢).

- اصطلاحًا: هو " طريقة وأسلوب وشكل أو مذهب مميّز لفرد أو لجماعة "كلامُه على نَمطٍ واحد- نمط العمل- بنايةٌ على النَّمط العتيق- هم على نمط واحد: متشابهون- نمط الحياة- نمط المعيشة: طريقة العيش وخصائصها الَّتي يعتمدها الإنسانُ في بيته ومجتمعه وعمله- يسير العملُ على نمط واحد: رتيب، لا يتغيّر"(٣).

ويدل التعريف السابق على أن مفهوم المفارقة لا يختص بمجال الأدب فحسب، بل يتصل بعديد من المجالات، حيث يكون للظاهر دلالة معينة، بينما يشير واقع الحال إلى دلالة أخرى مخالفة للظاهر.

ويكمن ظهورها اللافت في الأدب إلى أن "لغة الأدب أكثر قدرة على التعامل مع ما يقول الناس أو يفكرون أو يشعرون أو يعتقدون، ومن ثَمَّ على تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون، وبين ما يُعتَقد، وما هو واقع الحال، وهذا بالضبط المجال الذي تنشط فيه المفارقة"(٤).

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، ٤٨٢/٥.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٤١٧/٧.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٢٢٨٦/٣.

(٤) المفارقة، موسوعة المصطلح النقدي، دي. سي. ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣م، ص١٧.

وتشير الفقرة إلى طبيعة المفارقة التي تُعنى بكافة التوجهات الإنسانية الفكرية، العقدية والإنسانية، وتهتم بإبراز الفجوة بين المتخيَّل والواقعي.

تمثلت المفارقة لدى البلاغيين القدماء فيما يعتمد على التناقض أو التضاد، ويدور حول الاختلاف بين الظاهر الواضح، والمستتر المخالف، مثل: "الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء"(١)، وجميعها تعتمد على مخالفة المعنى الظاهر، إلى معنى آخر مقصود، من ذم ظاهري يُراد به المدح، ومعنى مراد يكتفي المتكلم بإيراد ما يدل عليه، وغيرها مما يعتمد على ازدواجية المعنيَيْن: الظاهر والباطن.

أما أنواع المفارقة، فقد ذهب (دي مويك) إلى القول بصعوبة حصر أنماط المفارقة، و"كان من نتيجة ذلك أن تراكمت مجموعة غير متجانسة من أسماء الأنواع من المفارقة، فنجد المفارقة الكوميدية –مثلًا– مفارقة ذات أثر كوميدي، لكن المفارقة المأساوية مفارقة تميِّز المأساة، وهي بهذا المعنى تناظر (مأساة سوفوكليس) كما تناظر المفارقة الدرامية التي لا تقتصر على المأساة أو الدراما أو حتى على الأدب، وقد تفيد (المفارقة الذاتية) أن يحس المرء بالمفارقة على حساب نفسه... ونجد مفارقة التصرَّف بما يرادف مفارقة الشخصية"(٢).

(١) البديع لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ص٢٢.

(٢) المفارقة، موسوعة المصطلح النقدي، دي. سي. ميويك، ص٢٣.

ويشير قول دي مويك السابق إلى اصطباغ المفارقة بالتجربة الإنسانية المتعلقة بها، وهو ما يؤدي إلى صعوبة حصر أنماطها؛ كون التجارب الإنسانية لا يمكن حدُّها بحد.

كما يدل القول السابق على انحصار المفارقة بين داخل الإنسان (الذات)، وخارجها (خارج الذات).

ويتشكل مفهوم المفارقة الآخر بحسب التجربة الإنسانية.

ويتفرع على ذلك أشكال عدة للمفارقة على النحو الآتي:

- مفارقة المنافرة: حيث تقوم على التناقض في الموقف بحكم علاقة التضاد المعنوي.
- مفارقة الأحداث: وتقوم على التعارض بين الأحداث بحيث تتولد المفارقة.
- المفارقة الدرامية: حيث ترتبط المفارقة بالمغزى النفسي للصراع.
- مفارقة الاستخفاف بالذات: وتظهر فيها المصارحة مع النفس فيبرز التناقض بين القناع الظاهري للشخص وباطنه المناقض للظاهر[1].

أما أثر المفارقة في النص، فيكمن في تحريك ذهن السامع، وحضِّه على فهم المعنى المقصود، على النحو الذي يمثل نوعًا من الصراع الذهني، بحيث يؤدي "انعدام المفارقة أو الاختلاف إلى انعدام الصراع أو التشابك، وذلك يؤدي بدوره إلى انعدام أو ضعف الحركة"[2].

وفي الختام، يمكن تحديد الإطار المعرفي لمصطلح المفارقة بما يلي:

(١) ينظر: المفارقة، دي. سي. ميويك، ص٧٥-٨٧.

(٢) المفارقة في شعر الرواد، تأليف: قيس الحمزة الخفاجي (ت١٤٤١هـ)، دار الأرقم للطباعة والنشر، بابل، العراق، ص٣٩.

- تبرز التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمفارقة مفاهيم: مخالفة الظاهر، والتباعد بين المعنيين: الظاهر والباطن، على النحو الذي يتجه بمفهوم المفارقة نحو التباين بين الواقع والمتخيَّل.

- اعتمد البلاغيون القدماء على التضاد كركيزة معنوية للمفارقة، وتفرَّعت صورها لديهم في أنماط لغوية في المقام الأول، وهو ما تجلَّى في المصطلحات المورَدة، حتى إن ابن المعتز قد عدَّ ألوانًا من البديع تقترب كثيرًا من مفهوم المفارقة.

- دعت النظرة الغربية للمفارقة إلى عدم حصرها في قوالب لغوية بعينها، أو شكل ثابت لا يتغير؛ كون أنماطها تمتد إلى الاصطباغ بصبغة التجربة الإنسانية ذاتها، فتتشكل بحسب تفصيلاتها، مما ينشأ عنه: المفارقة الكوميدية، الذاتية، وغيرهما مما تتشعَّب أنماطه.

- تراعي مفارقة الموقف الجانب النفسي للمتكلم والسامع، مما يختص به الدرس البلاغي من دراسة سياق المقام، على النحو الذي يشترك مع كثير مما أورده البلاغيون القدماء، وإن اختلف في التسمية والاصطلاح.

- تعتمد المفارقة على إلمام المتكلم بفنون الكلام والتعبير، مما تتسع له اللغة، فيتمكن السامع من تحديد المعنى الباطن المستتر الذي تهدف إليه المفارقة، وهو ما توافر في الحديث النبوي الشريف؛ إذ أوتي النبي، صلى الله عليه وسلم القدرة على إيراد المعنى، ومعنى المعنى، على النحو الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني آنفًا.

وبناء على ما سبق، فسوف يتناول البحث النماذج المختارة، من الحديث النبوي الشريف، مراعيًا منطوق الحديث من الناحية البلاغية، وحال السامع بما يتَّسق مع ثقافته المستمدَّة من البيئة.

المطلب الآخر
التوجهات البلاغية في دراسة الحديث النبوي
بين القدماء والمحدثين

استحوذ الحديث النبوي الشريف على اهتمام البلاغيين القدماء والمحدثين، فتناولوه بالدرس في مؤلفاتهم على النحو الذي يبرز جوانبه البلاغية إذ وجدوا فيه مثالًا متكاملًا للفصاحة المتفرِّدة التي تعزُّ نظيرًا، ونموذجًا لما يفوق سائر الكلام فرادة ووضوحًا في حق النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يخاطب "كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأسدَّهم لفظًا، وأبْيَنَهم عبارة، ولم يُعرَف ذلك لغيره من العرب"(١).

وقد بذل البلاغيون القدماء جهودًا حثيثة في دراسة الحديث النبوي، فمنهم من أفرد لمفرداته مؤلفات بأكملها، متناولًا معانيها، موردًا لغريبها، بينما لم تخل سائر المؤلفات البلاغية من إيراد الأحاديث النبوية في معرض الاستشهاد لكثير من القضايا البلاغية.

ولم يقل المحدثون اهتمامًا عن القدماء في دراسة الحديث النبوي بلاغيًّا، فضلًا عن سائر فنون اللغة، وهو ما مثَّل مسيرة حافلة تعاضد فيها القدماء والمحدثون لإبراز أوجه التميز في الحديث النبوي الشريف من كافة الوجوه التي عرفتها علوم العربية ، فنجد أن الإمام العسكري (ت ٣٩٥هـ) يتناول أوجه البلاغة في الحديث النبوي، مع التركيز على الجانب التصويري فيه، كقوله عليه الصلاة

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر دار الكتاب العربي الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، بيروت، ط٨ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، ص١٩٥.

والسلام: فإنَّ المنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، كفى بالسَّلامة داء، تميت الغرَّة، وتحيى العرَّة[1]، لما تعددت مواضعه التصويرية في الحديث النبوي الشريف.

كما حرص اللغويون كذلك على إيراد جوامع الكلم النبوي، واستجلاء منابع البيان فيه، وفي ذلك يقول الثعالبي (ت٤٢٩هـ): " من ذلك ألفاظ له عليه الصلاة والسلام، لم تسبقه العرب إليها كقوله: إياكم وخضراء الدَّمن، كل الصيد في جوف الفرا، مات فلانٌ حتف أنفه، لا تنتطح فيها عنزان، هدنةٌ على دخن، وجماعةٌ على أقذاء"[2]، وهي ألفاظ وتراكيب انفرد بها النبي، صلى الله عليه وسلم، واهتم بتدوينها البلاغيون.

ولا يمكن إغفال مؤلفات الجرجاني (ت٤٧١هـ): أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، من حيث استشهاده بالحديث النبوي، وكشفه عن جوانب البلاغة فيه، كقوله، صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الّذي يعلِّم الخيرَ، مَن في الدنيا ضيفٌ وما في يديه عاريَّة، أتيتكم بالحنيفيَّة البَيْضَاء ليلُها كنهارِها، وغيرها من الأحاديث النبوية التي تناول أوجه البلاغة والفصاحة فيها[3]، مما يعكس ثراء الحديث النبوي من كافة الوجوه، بحيث اعتمد عليها الجرجاني، كأحد البلاغيين الأعلام في الدرس البلاغي القديم.

---

(١) كتاب الصناعتين لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٨-٣٨-١٧٩.

(٢) التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٢٢.

(٣) أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص١١٨-١٢٠-٢٢٧.

وقد خصَّص ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) بابًا في جوامع الكلم، فحدَّه بحد ما لم يكن لأحد فيه قول سابق، ومن ثم، جاءت البلاغة النبوية فيما لم يسبق إليه أحد من الألفاظ والتراكيب، أو المجاز، مثل: حمي الوطيس، كتعبير فصيح يربط بين احتدام القتال وخيال السامع، وهو أفضل من قولنا: استعرت الحرب، و"الفرق بينهما أن الوطيس هو التنُّور، وهو موطن الوقود ومجتمع النار، وذلك يخيِّل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حَمِيِّها وتوَقُّدها"(١).

وقد أبرز ابن الأثير، في المثال السابق، جانبًا بلاغيًّا مهمًا في الحديث النبوي، يتمثَّل في تفرُّده بما لم يسبق إليه أحد في الألفاظ أو التراكيب أو التصوير.

ويتناول العلوي (ت٧٤٥هـ) جانبًا آخر من جوانب البلاغة النبوية، من اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، فيقول: "ولهذا، فإن الناظرين في السُّنَّة النَّبويَّة الدَّالَّة على الأحكام الشرعية، والحِكَم الأدبية لا تزال المعاني المُستَخرَجة منها غَضَّة طريَّة على تكرُّر الأعوام، وتطاوُل الأزمان"(٢).

ويشير قول العلوي إلى طبيعة البلاغة النبوية، ومناسبتها لكل زمان ومكان، فضلًا عن جميع البيئات على اختلافها وتنوُّعها.

ومما لا يحيط به الحصر استشهاد البلاغيين بالحديث النبوي الشريف؛ إذ تعددت مواضع دراسة والاستشهاد بالحديث النبوي في عديد من المؤلفات الأدبية

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ٧٨/١.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٤٩/٢.

والبلاغية، مثل: العقد الفريد لابن عبد ربه – صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي– نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المدائني، وغيرهم مما جاء تناولهم لبلاغة الحديث النبوي في معرض الموضوعات المطروحة للدراسة.

وقد تجلى اهتمام اللغويين – كذلك– بدراسة مفردات الحديث النبوي الشريف في مؤلفات القدماء، فألَّف أبو عبيد الهروي (ت٤٠١هـ) كتاب: الغريبين في القرآن والحديث، وحوى قدرًا كبيرًا من الأحاديث النبوية التي تضمُّ ألفاظًا من غريب كلام العرب(١)، وهو عمل معجمي يفيد دارسي بلاغة الحديث النبوي؛ بتوضيح معاني الألفاظ الغريبة بما يخدم الدرس البلاغي، فضلًا عن جهود شرَّاح الحديث في هذا المجال، مما لا يتسع المقام لحصره.

أما المحدثون، فلم يقلُّوا عن نظرائهم من القدماء اهتمامًا بدراسة البلاغة النبوية، فتناول الرافعي نسقها البلاغي، من كونها "أسلوبًا منفرِدًا في هذه اللغة، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه، وأن ما أشبهه من بلاغة الناس في الكلمات القليلة والجمل المقتضبة، لا يشبهه في العبارة المبسوطة"(٢).

وتناول القاضي حسين بن محمد المهدي ما يُستَنبَط من الحديث النبوي، وما يتعلق به من جوانب أدبية، كمفهوم القصة في الحديث النبوي، وسائر المواقف

(١) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت٤٠١هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدَّم له وراجعه: فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ٤/١٠٧٥– ١٣٥٧–٥/١٤٩٩.

(٢) تاريخ آداب العرب، تأليف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، دط، ٢/٢١٢.

التي تعرَّض لها الصحابة والتابعون، مستشهدًا بالحديث النبوي الشريف[١]، وهو كتاب أدبي ذو صبغة أخلاقية، وغيره من المحدثين الذين تناولوا الحديث النبوي من منظور بلاغي.

كما تناولت الدوريات الصادرة عن المؤتمرات الدولية للغة العربية البلاغة النبوية في الحديث الشريف، ومن ذلك المؤتمر الدولي الرابع الذي تم فيه تناول موضوع: الدلالات البلاغية في الحديث النبوي الشريف: دراسة تحليلية بلاغية نماذج مختارة من:

١- علم البيان: التشبيهات، الاستعارات، المجازات، الكنايات.
٢- علم المعاني: أضرب الخبر، التقديم والتأخير، الحذف والذكر، القسم.
٣- علم البديع: الطباق، المقابلة، السجع[٢].

حيث مثَّلت هذه المؤتمرات التي تُعنى بدراسة مباحث العربية تتويجًا لجهود الباحثين في الحقل اللغوي بصفة عامة، والبلاغة العربية على وجه الخصوص.

(١) ينظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي، ص٣٥، ٦٨، ٨٠.

(٢) كتاب مؤتمر اللغة العربية الرابع، دبي، الإمارات، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص٦٤٨-٦٥٧.

المبحث الأول

المفارقة اللفظية في الحديث النبوي الشريف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المفارقة فى اللفظ المفرد

المطلب الآخر: المفارقة في التركيب

المبحث الأول

المفارقة اللفظية في الحديث النبوي الشريف

اعتمد الحديث النبوي الشريف على المفارقة اللفظية، التي أدت دورًا مهمًا في إبراز فكرة النص ومراد المتكلم، من إسداء النصح للمخاطَبين، وتنوعت ما بين المفارقة في اللفظ المفرد، مما اعتمد التضاد، وإبراز الفكرة باستعراض حالتين متناقضتين تجتمعان حول فكرة واحدة.

وجاءت المفارقة في التراكيب، تعتمد على أساليب بلاغية مهمة كالتقديم والتأخير، والاستثناء، والذكر والحذف، وغيرها مما كان له أثر في إبراز الدور الدلالي للمفارقة،

وجاءت أنماط المفارقة اللفظية في الحديث النبوي الشريف على مطلبين نبدأ بالحديث عنهما بالتفصيل فيما يأتى:

المطلب الأول

المفارقة في اللفظ المفرد

تعددت مواضع المفارقة في اللفظ المفرد ومنها على سبيل المثال:

١- حَدَّثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ المُبَارَكِ، حَدَّثنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثنا أَيُّوبُ، وَيُونُسُ، عَنِ الحَسَنِ، عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ يَقُولُ: ((إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ)) [(١)].

تضمَّن الحديث تحذير النبي، صلى الله عليه وسلم من كافة الأسباب التي تؤدي إلى اقتتال المسلمين، ومواجهة المسلم أخاه المسلم في ساحات القتال، وجاء التحذير متعلقًا بالطرفين، ولم يستثنِ المقتول في المواجهة؛ كون انعقاد "العزم والنِيَّة على قتل مسلم بمنزلة قتله"[(٢)]، مما أبرز المفارقة في الطباق بين: القاتل والمقتول، حيث أوضحت وحدة المصير المتعلِّق بالطرفين أيًّا كانت نتيجة المواجهة.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ، ١/١٥.

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت٣٨٣هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ، ص٥١٣.

واشتمل الحديث على جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، من بناء المفارقة على أسلوب الشرط الذي يفيد المجازاة، وترتُّب جواب الشرط من دخول النار على فعل الشرط من اقتتال المسلمين.

وجاء تعريف لفظ (المسلمان) لاستغراق الجنس، وكذلك تعريف لفظيْ: القاتل والمقتول للتعيين، وربط فعل القتل، على مستوى القاتل والمقتول، بالجزاء المترتِّب على ارتكابه، كما جاء التعليل باستخدام الأسلوب الخبري الإنكاري: إنه كان حريصًا... بالتأكيد على بشاعة الجرم، ومراعاة البيئة الصحراوية التي كانت تكثر بها الحروب.

ودلت المفارقة على جواز الدفاع عن النفس، أو رفع الظلم عن الأبرياء، وما شابه ذلك من الحالات المخالفة التي تخرج عن هذه الحالة، من حتمية وقوع مواجهات من هذا النوع لأسباب حياتية، وهو ما تضمَّن استثناء عقليًّا لحالات الدفاع عن النفس، وردِّ العدوان، كظرف اضطراري لا يدخل في الحديث، فترسَّخ في ذهن السامع أن "من قاتل أهل البغي، فقتل أو دفع عن نفسه، فإنه لا يدخل في هذا الوعيد؛ لأنه مأمور بالذَّبِّ عن نفسه غير قاصد قتل صاحبه"(١).

٢- حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: ((أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ))(٢).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٥/٢.
(٢) صحيح البخاري، ١٥/١.

تناول الحديث تحذير المرأة المسلمة من الإساءة لزوجها، مما يعرضها لغضب الله تعالى، كما اشتمل الحديث على جوانب بلاغية دعمت مقصود المتكلم، من بناء الفعل (أريتُ) للمجهول؛ للعلم بالفاعل وتعظيمه، وجاء لفظ (النار) معرفة للتهويل، وهو ما يناسب الوعيد والتحذير، ودلت (إذا) الفجائية) على شفقة النبي، صلى الله عليه وسلم، على أمته.

ومثل الاستفهام: أيكفرن بالله؟ دلالة حرص السامعين على تبين معنى الكفر الوارد، مما أوقع المفارقة بين تفسيرهم معنى الكفر، والمعنى المقصود على الوجه الصحيح.

وحمل الطباق بالسلب، في قوله: رأت- ما رأيتُ دلالة دينية دعوية، حيث "أراد: كفرهن حق أزواجهن، وذلك لا محالة ينقص من إيمانهن"[1]، من إبراز وجه المفارقة المتعلق بتفسير لفظ (الكفر)، وجاء تنكير لفظ (شيئًا) للتقليل، كما تضمَّن نصح النبي صلى الله عليه وسلم للنساء بالإحسان إلى الأزواج، وعدم التقلب تجاههم، والتسرع في تقييم العلاقة الزوجية في لحظات الغضب والانفعال، مما "يُضرَب مثلًا فى كُفْرِ النعمة"[2] بصفة عامة.

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٨٩/١.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٤٩/١.

ومن المفارقة اللفظية أيضًا:

٣- حَدَّثنا الحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثنا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثناهُ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ، قصَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ:س قَالَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَس حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)) (١).

تضمَّن الحديث النهي عن الحسد كفعل محرَّم لا يرضاه الله ورسوله، وجاء الاستثناء في حالتين: الإنفاق في سبيل الله، وتعليم الحكمة ونشرها بين الناس، وهو ما استلزم توضيح معنى الحسد الوارد، من أنه يعني: "لا غبطة"(٢)، فحمل الحديث دلالة قامت عليها المفارقة، حيث استعار المتكلم الحسد للغبطة، فتمثل السامع الحسد بما يصاحبه من غيرة، وحرص على التفوق والسبق، فأدرك مراد المتكلم، من كونه لا يقصد الحسد بل الغبطة، فتجوَّز بلفظ (الحسد) قاصدًا ما تعلَّق به، وما صاحبه من سلوك.

واشتمل الحديث على جوانب بلاغية دعمت مقصود المتكلم، من التأكيد على عدم جواز الحسد باستخدام (لا) النافية للجنس، التي تنفي جنس اسمها عن الخبر، ودلالة القصر بـ (إلا) على قصر وحصر الحسد في المستثنى، وجاءت جملة: رجل آتاه الله كتفصيل بعد الإجمال، مما حمل دلالة التشويق للسامع ، وأوحى حذف المفعول، في قوله: يعلمها، على العموم والشمول، والتقدير: يُعَلِّمها

(١) صحيح البخاري، ١/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٣٠/٦٣٠.

الناس، وحمل بناء الفعل (فسُلِّط) دلالة العلم بالفاعل؛ كونه مصدر التوفيق للطاعة.

وأدت المفارقة دورها في النص، كدعوة لتجنُّب الحسد، كعادة اجتماعية سيئة يحرمها الإسلام، مما رسَّخ لدى السامع أن"هذا الحسد إنَّما هو في طاعة الله عزّ وجلّ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم"(١).

٤- حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخبَرَنا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)) (٢).

تضمَّن الحديث الحضَّ على صلاة الجماعة، وإبانة فضلها، من زيادتها على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، مما نشأ عنه مفارقة لدى السامع دلَّت عليها جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، حيث استخدم الأسلوب الخبري للتقرير، وتضمين الفعل (تفضل) معنى اسم التفضيل (أفضل)، كما دلَّ الطباق بين الفذ والجماعة على التوضيح بالضد، ودل تعريف (الجماعة) على استغراق المصلين، و"أن يكون المراد بذلك صلاة النافلة، أو يكون المراد بذلك من تخلَّف من غير

(١) الرسائل الأدبية للجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ، ص٣٩١.

(٢) صحيح البخاري، ١٣١/١.

عذر"[١]، ومن ثم تشجيع السامع على "المواظبة على حضورها في المساجد، وإيثارها لما لصلاة الجماعة من المزيَّة على صلاة الواحد"[٢].

٥- حَدَّثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثنا هُشَيْمٌ، أَخبَرَنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَنَسٍ، وَحُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، سَمِعَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)) [٣].

تضمَّن الحديث حضَّ النبي صلى الله عليه وسلم، على مؤازرة المسلم لأخيه المسلم في جميع الأحوال، مما شابه مذهب العرب في الجاهلية، حيث كان "مذهبها نصرته على كل حال"[٤]، ومن ثم اشتبه المعنى المقصود على السامعين، فأوضح النبي صلى الله عليه وسلم، ما قصده حقيقة من الخطاب، من ردِّ الظالم عن ظلمه كنصر ومؤازرة له،

مما تضمَّن جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، كالأمر: انصر للحث والتشجيع، وأوحت كاف الخطاب في قوله: أخاك بمعنى التلازم، وهو ما ناسب النصرة المدعو إليها، وأوحى النداءفى قوله: يا رسول الله بالتعظيم، وحرص السامع على استجلاء المعنى المراد للنصرة في الحالتين، وحذف المتكلم الخبر

(١) الاستذكار لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا- محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٣٨/٢.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي الفزاري ثم القاهريّ (ت٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٦/١٣.

(٣) صحيح البخاري، ١٢٨/٣.

(٤) الأمثال لأبي عُبيد، القاسم بن سلام عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: عبد المجيد قطامش (ت٢٢٤هـ)، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص١٨١.

لدلالة السياق عليه، والتقدير: هذا أخونا ننصره، ودلَّ الطباق بين: الظالم والمظلوم على اندهاش السامعين من اجتماع حالتين متناقضتين في آن واحد.

وأدت المفارقة بذلك دورها في تنبيه السامع، وحضِّه على اتباع المفهوم الصحيح للنصرة في جميع الأحوال، فإذا رأى المسلم أخاه يَظلِم، فمنعه "من ذلك، كان ذلك نصرًا له، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم"(١)، مما وقَّر في ذهن السامع وحدة الاتجاه الذي يدعو إليه الله ورسوله، من منع الظلم وتحريمه تحريمًا قاطعًا.

٦- حَدَّثنا مُسَدَّدٌ، حَدَّثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثنا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((لاَ يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا(٢)، وَلاَ يَزِيدَنَّ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبَنَّ عَلَى خِطْبَتِهِ، وَلاَ تَسْأَلِ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَكْفِئَ إِنَاءَهَا)) (٣).

تضمَّن الحديث النبوي النهي عن بيع الحاضر للباد؛ حيث كان "من شأن أهل البادية أن يرخصوا إلى أهل الحضر؛ لقلة معرفتهم بالسوق"(٤)، أي: يطلبون من أهل الحضر البيع والشراء لهم؛ خوفًا من تعرُّضهم للخداع والغش.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٩٠/١٢.

(٢) تناجشوا: النجش هو"أَن يزيدَ الرجلُ فِي ثمنِ السِّلعة وَهُوَ لَا يرُيدُ شِرَاءَهَا، وَلَكِن لِيَسْمَعَهُ غيرُه فيزيدَ بِزِيَادَتِهِ"، تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الهروي، أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٢٨٨/١٠.

(٣) صحيح البخاري، ١٩١/٣.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، دار إحياء التراث العربي، ٧٤/٦.

وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، من الطباق بين: حاضر وباد؛ لإبراز الجهات التي تضمنها النهي، وكذلك في التحذير الذي تضمنه النهي في قوله: لا تناجشوا، والتأكيد على المنهي عنه بنون التوكيد المشددة، كقوله: لا يزيدن-لا يخطبن.

وجاء بها في صورة الاستعارة التمثيلية حيث شبهت حالة المرأة التي تعمل على طلاق أختها من زوجها لتتزوج هي به ، بحالة الشخص الذى يقلب الإناء فيفرغ ما به ليأكله كله أو يشربه كله.

كما ارتبطت المفارقة بمنحى اقتصادي، يدل على وعي النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصادي، وخشيته من تحكُّم السماسرة في الأسواق بمرور الزمن، وتأثُّر صغار البائعين بذلك؛ إذ تقل فرصهم في البيع المباشر لشريحة الوافدين من أهل البادية، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم "أن يصيب الناس بعضهم من بعض"[(١)]، بما يحقق مبدأ تكافؤ الفرص في الربح، ويوفر الانسيابية في حركتيْ: البيع والتجارة بالأسواق.

٧- حَدَّثنا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، نا فُلَيْحٌ، عَنْ هِلاَلِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَى)) [(٢)].

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٥٣١/٦.

(٢) صحيح البخاري، ١٦/٤.

يبين الحديث فضل ثواب المجاهدين، وما أعدَّه الله لهم من أجر عظيم في الآخرة، من ارتقاء في درجات الجنة، وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مقصود المتكلم، من الشرط الوارد في قوله: من آمن بالله.. كان حقًّا على الله أن يرضيه، من ربط السبب بالمسبب، وتعريف الجنة للتعظيم، وحمل العطف بين جملتي:" جاهد– جلس" معنى نيل الثواب بكرم من الله تعالى، وإن اختلفت الظروف والأحوال بالعبد المؤمن.

وأوحى النداء فى قوله: يا رسول الله بدلالة التعظيم، والحرص على تبشير الناس بعظيم الثواب والأجر من الله، وضاعف الطباق بين السماء والأرض من قيمة المفارقة في ذهن السامع؛ إذ انصرفت الدلالة إلى ما يُعرَف في "البديع بباب: التكافؤ "[1]، حيث عمد المتكلم إلى المطابقة بين لفظين ليس على وجه الاختلاف الحقيقي هما: "السماء– الأرض"، مما أتاح للمفارقة دلالات عدَّة من تقرير أن "أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلًا كثيرًا، ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البُعد" [2].

٨– حَدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخبَرَنا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَالفَدَّادِينَ[3] أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ)) [4].

(١) إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر (ت٤٠٣هـ)، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م، ص٩٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢م، ٢٨/١٣.

(٣) الفَدَّادِينَ: هي "الْفَدادِين – مُخَفَّفَة وَاحِدهَا فدان – مُشَدَّدَة وَهِي الْبَقَرَة الَّتِي يحرث بهَا يَقُول: إِن أَهلهَا أهل قسوة وجفاء لبعدهم من الْأَمْصَار وَالنَّاس... الفدَّادون – بِالتَّشْدِيدِ هُمُ الَّذين تعلو أَصْوَاتهم فِي حروثهم وَأَمْوَالهمْ ومواشيهم". غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلام عبد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ٢٠٣/١.

(٤) صحيح البخاري، ١٢٧/٤.

تضمَّن الحديث النبوي توصيفًا أخلاقيًّا من النبي صلى الله عليه وسلم لسُكَّان المناطق المختلفة، وما يترتب على ذلك النشاط من أخلاقيات سائدة بين أهل كل بلد، حيث جاءت المفارقة في التضاد بين: "الفخر والخيلاء" من ناحية كمردود نفسي للسلوك المرتبط بأهل الخيل والإبل، حيث "أراد الأعراب، أهل الجفاء والتكبُّر، وهم أهل الخيل والإبل، وكلهم أو جُلُّهم فدَّاد متكبِّر"(١)، بينما جاءت السكينة كمردود نفسي مرتبط بمهنة رعي الغنم، فارتبطت المفارقة بدراية النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المنحى الأخلاقي، فأعلمنا "أن ذلك في أهل الوبر أكثر، وفي أهل المدر أقل"(٢).

كما ارتبطت المفارقة بدلالات بلاغية، من استخدام صيغة الجمع في وصف أخلاق أهل الوبر للكثرة والشيوع، مثل: فدَّادين، فضلًا عن العطف الموحي بتنوُّع صفات الكِبْر والتيه:الفخر والخيلاء، في مقابل صفة السكينة في أهل الغنم، مما يدلُّ على البساطة والنقاء، ويعكس ميول المتكلم نحو الفطرة، وهو ما عُرِف عنه صلوات الله وتسليماته عليه.

(١) الاستذكارلابن عبد البر ٤٩٩/٨.

(٢) البيان والتبيين لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٣٦/١.

المطلب الثاني

المفارقة في التركيب

تعددت مواضع المفارقة في التركيب ، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- حَدَّثنا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثنا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلَمَ.

وَعَنْ حُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، قَالَ: حَدَّثنا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ قال النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلَمَ: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[١].

تضمَّن الحديث النبوي الحضَّ على حب الآخرين إلى الدرجة التي تتساوى فيها محبة النفس مع محبة الغير، مما يترتب عليه انتشار مفهوم المحبة الواسع بين البشر، من حب التعاون على البر والتقوى، حب التضحية والفداء والإيثار، حب الإخاء"[٢].

واشتمل الحديث على جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم من النفي المقترن بـــ (حتى) التي تفيد الغاية، أي: لا يكتمل الإيمان إلا باستيفاء غاية الزمان المقترنة بحب الغير كالنفس، وأوحى لفظ (أحدكم) باستغراق السامعين من المسلمين، وأدَّى حذف المفعول به (الهاء) في قوله: ما يحب دلالة العموم، وأنه أمر لكل من أراد بلوغ مرتبة الإيمان.

وقد نشأت مفارقة تعلَّقت بذلك المفهوم للحب، قوامها المساواة بين حب النفس وحبِّ الغير؛ اعتمادًا على تقديم الإنسان –بفطرته– حب نفسه على غيره،

(١) صحيح البخاري، ١٢/١.

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للمهدي، حسين بن محمد، ص٩٤.

وهو ما أسَّس لمقابلة نفسية لدى السامع، وتشجيعًا يقوم على السلوك العملي، ولا يقتصر على الاعتقاد القلبي، كفلسفة نفسية مرتبة بالمفارقة؛ لأن "الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس، فإذا أحبَّ لأخيه مثله، فقد دخل هو في جملة المفضولين"(١).

٢- حَدَّثنا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثنا عَبْدُ الوَارِثِ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا)) (٢).

تضمَّن الحديث النبوي الإخبار بعلامات الساعة، من انتشار الجهل، واستحلال الخمر والفواحش، مما نشأ عنه مفارقة تركيبية، تمثَّل في التقابل بين الجمل الفعلية الواردة في الحديث: يُرفَع-يثبت، حيث دلَّت الجملة الفعلية (يُرفع العلم) على أنه "يُرفَع العلم بموت حَمَلَتِه، وقَبْضِ نَقَلَتِه، لا بمحوه من صدورهم"(٣)، كما بني الفعل (يُرفَع) للمجهول للعلم بالفاعل، حيث جاء الإيجاز فصيحًا، على نحو ما أورد الجرجاني: "ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أَزيَدَ للإفادة، وتجدُك أَنْطَقَ ما تكون إذا لم تَنطِق، وأَتَمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"(٤).

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ٦٥/١.

(٢) صحيح البخاري، ٢٧/١.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ، ١٨١/١.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني، ص١٤٦.

وفي الجانب المقابل، جاءت الجمل الفعلية (يثبت الجهل-يُشرَب الخمر-يظهر الزنا)، كحالات مقابِلة لرفع العلم، وتأكيد لانتشار الجهل، وفشو الرذائل بين الناس، فكان للمفارقة مفهوم المقارنة أو الموازنة بين حالتين، مستهدِفة تقرير الحالة الأولى في النفوس وهى رفع العلم ، في مقابل التنفير من الحالة الثانية لها وهى انتشار الجهل.

٣- عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا)) (١).

تضمَّن الحديث النبوي الدعوة إلى تيسير المسلم على أخيه المسلم، وأن يسَهِّل على من معه من المسلمين، ويرفق بهم"(٢)، وزاد من تأثر السامع بالمفارقة دقة المتكلم في ترتيب الفعل وما يقابله، على النحو الذي راعى فيه مقتضى الحال، وتجنَّب ذكر "معنى تقتضى الحالُ ذكرَها بموافقة أو مخالفة، فيؤتى بما لا يوافق ولا يخالف"(٣)، ومن ثم تفسد المقابلة.

وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم؛ بالحذف في الجمل الفعلية الواردة بالحديث الشريف، فقد حذف المتكلم المتعلِّق بجميع الأفعال؛ لعموم الخطاب، واختصاصه بجميع شرائح المخاطَبين، والتقدير: يَسِّرُوا على الناس، وَلاَ تُعَسِّرُوا عليهم، وَبَشِّرُوا الناس وَلاَ تُنَفِّرُوهم، كما استخدم المتكلم أساليب الأمر في جميع الأفعال الواردة بالحديث للحث والتشجيع.

(١) صحيح البخاري، ١/٢٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤/٥٥٢.

(٣) الصناعتين للعسكري، ص٣٣٩.

٤- حَدَّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ نَافِعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ((آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ)) (١)

تضمَّن الحديث التحذير من المنافقين؛ عن طريق التعريف بأبرز صفاتهم، كالكذب في الحديث، وخيانة الأمانة، وإخلاف الوعد.

وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، من المقابلة في الجمل الثلاث في الحديث: الكذب والصدق-الأمانة والخيانة-الوعد والحنث أو الإخلاف،

وهو ما أبرز حقيقة النفاق، وكونه "إخلاف السِّرِّ والعلانية، واختلاف القول والعمل"(٢).

كما برزت دقة المقابلات بين الأفعال المتقابلة، ومراعاة الابتداء بالفعل النابع من الاعتقاد، يليه ما ترتَّب عليه من سلوكيات منحرفة، فجاءت صحة المقابلات على نحو ما اشترط قدامة بن جعفر، إذ أورد: "فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك"(٣).

(١) صحيح البخاري، ٣/١٨٠.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١/٣٥٧.

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبي الفرج (ت٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ، ص٤٧.

وقد ضاعف الحذف من تأثر المفارقة على السامع، فحذف المفعولين في الفعلين: الأول حدث" والثالث وعد" والتقدير: إذا حدَّث الناس كذب، وإذا وعدهم أخلف، كما حذف الفاعل في الفعل المبني للمجهول (أؤتُمن)، والتقدير: وإذا ائتمنه الناس خان، مع مراعاة بناء الفعل للمجهول، وهو ما أسهم في إبراز المفارقة بضدها لدى السامع، وتنفيره من الاتصاف بإحدى هذه الصفات التي لا يتصف بها سوى المنافقون.

٥- قَالَ اللَّيْثُ: عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ يَقُولُ: ((الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ))(١).

تضمَّن الحديث النبوي بيان التقارب بين الناس على أساس من العمل والسلوك، ومن ثم تصير أرواحهم كالجنود في ميدان المعركة، يتعارف كل جندي على أخيه وزميله.

وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، من إيثار الأسلوب الخبري لتقرير الفكرة، واستخدام المقابلة في قوله: تعارف-تناكر، ائتلف-اختلف، مما أنشأ حالة مقارنة بين فريقين من البشر: المتعارِف والمتناكر غير المتعارف".

كما استغرق اسم الموصول (ما) جنس البشر، في قوله: فما تعارف، ويدل على ذكاء المتكلم، وإلمامه بالطباع البشرية المتآلف منها والمتنافر.

وقد ضاعف من قيمة المفارقة الجناس بين: جنود-مجنَّدة ، والسجع بين: ائتلف-اختلف، مما ولَّد جرسًا موسيقيًّا زاد من قيمة الانسجام الصوتي المؤيِّد

(١) صحيح البخاري، ١٣٣/٤.

للائتلاف الوارد في العبارة، على النحو الذي يرسِّخ المفهوم المدعو إليه في نفس السامع.

٦- حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، أَخبَرَنا عَبْدُ الوَهَّابِ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ ((أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ)) [(١)].

تضمَّن الحديث النبوي الدعوة إلى الرفق بالآخرين، وهو ما تمثَّل في جواب النبي، صلى الله عليه وسلم، على اليهود بجواب حسن؛ ردًّا على قولهم: السام عليكم، أي: السأم أو الهلاك، فلم "يحسن في باب حسن الخلق أن يقال: وعليكم السام؛ لأنهم كانوا يمجمجون الكلام به، فلا يبين لكل أحد، فلا يصلح أن يقابل الممجمج بالمصرح"[(٢)].

وتضمَّن الحديث جوانب بلاغية دعمت مراد المتكلم، من دلالة واو الوصل: عليكم ولعنكم الله، على استياء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من كلام اليهود، وحذف الفعل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: مهلًا، والتقدير: تمهَّلي مهلًا؛ كتأكيد على ضرورة التمهُّل، ودل أسلوب التحذير: وإياك والعنف والفحش، على شفقة المتكلم على أمته من زلَّات اللسان، ومبادلة الآخرين سبابًا بسباب.

ودلَّ الاستفهام: أولم تسمع ما قالوا؟ والرد: أولم تسمعي ما قلت؟ على تقرير ما حدث من اليهود في مقابل رفق النبي صلى الله عليه وسلم، وتأكدت دلالة

(١) صحيح البخاري، ١٢/٨.

(٢) الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١٩٦/٣.

المفارقة بين: فيهم، فيَّ، كتدعيم لمعنى الاستجابة الإلهية لمعسكر المؤمنين دون غيره، ومن ثم، لم يعتبر النبي، صلى الله عليه وسلم قولهم: السام عليكم، كدعاء بالموت والهلاك، مما "ليس في صريح سبٍّ ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الّذي لا بد من لحاقه جميع البشر"(١)، ولا يتوجَّب الرد عليه بمثله.

٧- حَدَّثنا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ يَقُولُ: كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ المُجَاهرون، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ"(٢).

تضمَّن الحديث النبوي دعوة إلى الاستتار بستر الله، وعدم فضح النفس، ومجاهرة العبد "بِإِظْهَار ذَنبه فِي الملإ؛ وَذَلِكَ جِنَايَة مِنْهُ على ستر الله الَّذِي أَسدلَهُ عَلَيْهِ"(٣)، مما نشأ عنه مفارقة دعمها المتكلم بجوانب بلاغية من إفادة لفظ (كل) للعموم والشمول، والاستثناء بـ (إلا) للقصر والحصر، وتنكير لفظ (عملًا) للعموم والشمول، مع التأكيد بـ (قد) على ستر الله له.

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣٤٨/١٤.

(٢) صحيح البخاري، ٢٠/٨.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري مكتبة الإمام الشافعي (ت١٠٣١هـ)، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢١٠/٢.

واستخدم المتكلم النداء: يا فلان للعموم وعدم التعيين، بما يؤكد على أنه أمر يخص جميع المؤمنين، مع دلالة كشف الستر، ككناية عن اللامبالاة، وما في ذلك من تبشيع فعل المجاهر بالذنب، المفتَرَض فيه "أن يتقي مواضع التهم؛ صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن العيبة، فإنهم إذا عصوا الله بِذِكره (للذنب)، وكان هو السبب فيه، كان شريكًا" [1] لهم حال اقترافهم ما اقترف.

كما تضمنت المفارقة في الاستثناء مفارقة بين معنى: معافى-المجاهرون، حيث حذف المتكلم صفة المجاهرين، من عدم المعافاة، والتقدير: ولا يعافى المجاهرون، مما أوضح للسامع السلوك مقرونًا بنتيجته؛ كحافز له على هجر هذه الصفة الذميمة.

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، دط، ٢٠١/٢.

المبحث الثاني:

المفارقة التصويرية في الحديث النبوي الشريف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التصوير القائم على التشبيه

المطلب الآخر: التصوير القائم على المجاز والكناية

المبحث الثاني

المفارقة التصويرية في الحديث النبوي الشريف

اهتم القدماء بالصورة فاعتبروا الكلمة البوابة الأولى لقوة المعاني، ومن ثم لقوة التصوير نفسه، وجعلوا العلامة الدالة على قوة الكلمات وحسن اصطفائها أنك إن قمت بتجريد النص من صورته حصلت على كلام لا يقل جمالًا وحسنًا عن الصورة ذاتها. من ذلك المنطلق رأى الجرجاني أن " من الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصُوَر وتتعاقب عليه الصناعات، وجُلَّ المعوَّل في شرفه على ذاتهِ، وإن كان التصويرُ قد يزِيد في قيمته ويرفع من قدره، ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من موادَّ غير شريفة، فلها ما دامت الصورة محفوظةً عليها لم تنتقض، وأثَر الصنعة باقيّاً معها لم يبطل قيمةٌ تغلو، ومنزلة تعلو، وللرغبات إليها انْصبابٌ، وللنفوس بها إعجاب، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابَها، وضامَت الحادثاتُ أربابها، وفجعتهم فيها بما يسلُب حُسْنها المكتسب بالصَّنعة، وجمالَها المستفادَ من طريق العَرضِ، فلم يبق إلا المادّة العارية من التصوير" [1]

ويشير قول الجرجاني إلى ارتباط التصوير بدقة العلاقة بين المجاز والمتجوَّز عنه، من علاقات دلالية مهمة تميِّز التصوير جيده ورديئه، مع اعتبار قوة اللفظ، ومتانة النسيج، مما يُكسب التصوير تأثيره المطلوب لدى السامع، وهو ما توافر في الحديث النبوي الشريف، من تشبيه وكناية ومجاز، وهو ما سوف نتناول في المطلبين التاليين:

([1]) أسرار البلاغة للجرجاني، ص٢٦.

المطلب الأول

التصوير القائم على التشبيه

تعددت مواضع المفارقة القائمة على التشبيه في الأحاديث النبوية، وذلك على النحو الآتي:

١- حَدَّثنا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثنا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ يَقُولُ: الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ فقداسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)) (١).

تضمَّن الحديث الحضَّ على تجنُّب المسلم للمتشابه من الأمور أي: "الأمور التي تكون غير واضحة الحكم من حيث الحِلِّ والحرمة"(٢)؛ استبراءً لدينه مما قد يشوبه من شبهات، وهو ما تطلَّب توضيح المتكلم للمفارقة بين الحلال والحرام؛ لبيان الحد الفاصل بينهما، فجاء التشبيه التمثيلي الوارد، من تشبيه الواقع في الشبهات، بالراعي الذي يحوم حول حمى أحد الناس، مما يعرضه للوقوع فيه في أية لحظة، والاعتداء على حقوق الغير، فارتبطت المفارقة بوجه الشبه بين

(١) صحيح البخاري، ١/٢٠.

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم (ت١٤٣١هـ)، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ١/١٤٢.

الحالتين، و"انتزاع وجه التشبيه من مجموع"[1] الكلام؛ إذ يجب الربط بين الحالة المشبهة ونظيرتها من المشبه به.

كما دعمت الألفاظ الموحية المفارقة التصويرية، من تعريف لفظيْ الحلال والحرام؛ لاستغراق الجنس، وإبراز المعنى بالضد في الطباق بين اللفظين، وتقديم الخبر المقدم (بينهما) على المبتدأ المؤخر (أمور) للتخصيص، مع تأكيد المعنى بـ (إن) في قوله: ألا إن لكل ملك حمى-ألا وإن في الجسد مضغة، مما أكَّد الدور المنوط بصلاح القلب في تقييم الأحوال، واستجلاء حِلِّ الأمر أو حرمته.

٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) [2].

تضمَّن الحديث استعراض مواقف الناس من الهدى والعلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من النافع لنفسه وغيره، والناقل لغيره الذي ينتفع بالمنقول،

(١) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٣٤٩.

(٢) صحيح البخاري، ٢٧/١.

أي: "إنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقَّه فيما جمع، لكنه أدَّاه لغيره"[١]، والذي لم ينتفع لنفسه أو ينفع غيره.

واقتضى المعنى السابق لجوء المتكلم إلى التشبيه التمثيلي، فالحديث بُني على المثل، فالشريعة غيث، والقلوب أرض، والحالتان متشابهتان في آلية التلقي ومدى القبول أو الرفض[٢].

لاعتماده على قدرة السامع على انتزاع وجه الشبه "من عِدَّة أمورٍ يُجْمَع بعضها إلى بعض، ثم يُستخرَج من مجموعها الشَبَهُ"[٣]، فنشأت بذلك مفارقة تصويرية، تعتمد على التقابل بين النوع الأول: المنتفع بالعلم، سواء من نفع به غيره أو قصره على نفسه، والثاني: الرافض للعلم جملة وتفصيلا، مما دعم المفارقة بالتصوير القائم على التناظر السابق، وإدراك السامع كلًّا بما يقابله.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية منها عطف (العشب) على (الكلأ) لتنويع خيرات الأرض، والإيجاز بحذف المفعول في قوله: فشربوا وسقوا وزرعوا، والتقدير: فشربوا الماء، وسقوا الماشية، وزرعوا الأرض، والقصر في (إنما هي قيعان) للحصر والتأكيد، وتكرار النفي لتأكيد الرفض في قوله: لا تُمسِك ماء ولا تنبت زرعًا، فضلًا عن الكناية عن التكبر في قوله: لم

(١) تطريز رياض الصالحين، تأليف فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص١٣١.

(٢) شرح أحاديث من صحيح البخارى دراسة فى سمت الكلام الأول تأليف د محمد أبو موسى ص١٨٥بتصرف مكتبة وهبة ، القاهرة الطبعة الأولي، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

(٣) أسرار البلاغة للجرجاني ص١٠١.

يرفع بذلك رأسًا، كدليل على عدم القبول الشخص لما جاء به النبى من العلم والهدى[١]

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» [٢].

تضمَّن الحديث امتداح النبي صلى الله عليه وسلم للمجاهد في سبيل الله تعالى، وتساوي ثواب الجهاد مع نظيره الصائمين القائمين، في قول النبي صلى الله عليه وسلم: كمثل الصائم القائم، بما يشمله من تعظيم أجر المجاهد كأجر الصائم، الذي شبهه به في نيل الثواب في كل حركة وسكون" [٣]، مما نشأ عنه مفارقة تصويرية اعتمدت على التماثل في الأجر بين المجاهد والصائم القائم، مع اختلاف مظاهر العبادة، فاعتمدت المفارقة بذلك على الصورة الذهنية المتمثِّلة في الجهاد، وما يقتضيه من حركة وتدافُع بين المتقاتِلين، والصيام والقيام كعبادات تختص بمجاهدة النفس وخوض صراع مع الشيطان، فترسَّخت دلالة المطابقية في

(١) شرح احاديث من صحيح البخارى دراسة في سمت الكلام الأول د أبو موسى ص ١٩٢

(٢) صحيح البخاري، ١٥/٤.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير لابن تاج العارفين المناوي، ٣٧٣/٢.

الأجر المفهوم لدى السامع من التشبيه؛ إذ أخرجه "جمهور البلاغيين من حيِّز المجاز، وأدخله في حيز الحقيقة؛ لأن دلالته مُطابَقِيَّة"(١).

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية الإطناب بالاعتراض في قوله: والله أعلم بمن يجاهد في سبيله؛ للحث على إخلاص النية لله تعالى؛ إذ يختص بسرائر النفوس؛ إذ دل اسم التفضيل (أعلم) على زيادة المفضل (علم الله) على المفضل عليه (علم الآخرين) ، والعطف بين (أجر أو غنيمة) للتنويع بين المكاسب المادية والمعنوية، مع تنكير اللفظين للتعظيم.

٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ، لاَ تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً» وَقَالَ زَكَرِيَّاءُ: حَدَّثَنِي سَعْدٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) (٢).

تضمَّن الحديث عقد مقارنة بين انصياع المؤمن لأوامر الله تعالى، وعناد الكافر وتكبُّره على الطاعة، مما استخدم معه المتكلم التشبيه المحسوس في تشبيهه المؤمن بالزرع اللـيِّن الرطب الذي لا يتعارض مع الريح، فيميل لها، ويعتدل باعتدالها، والمنافق الذي يتحجَّر في موقفه من تعاليم الدين، فيشبهه بحبة الأرز التي ما إن تنضج حتى تقتلعها الريح، فكان "وجه التشبيه أن المؤمن

(١) خصائص النظم في (خصائص العربية) لأبي الفتح عثمان بن جني، تأليف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي (ت١٤٢٩هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١٧٢.

(٢) صحيح البخاري ١١٤/٧.

إن جاءه أمر الله انصاع له ، ورضي به ، فإن جاءه خير فرح به وشكر"[١]، في مقابل صلف المنافق وتصلبه، مما نشأت عنه مفارقة ارتبطت بالتصوير، والاختلاف بين المشبَّهين في الحالتين، واستحالة المعنى المجرد إلى صورة مادية تزيد المعنى رسوخًا في ذهنه، وتقرب مراد المتكلم من فهمه، حيث شبه قبول المؤمن للابتلاء بقبول الخامة من الزرع الأخضر للريح مرة تميلها يمينًا، ومرة يسارًا ، وحبة الأرز المتحجرة بالمنافق من التشبيه التمثيلي"[٢] بين الطرفين، فقرن المفارقة بالصورة الذهنية المتكوِّنة لدى المتلقي.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية: المقابلة بين (تفيئها – تعدلها) لإبراز تحكُّم الريح، ولا إرادية الخامة من الزرع في الحركة، مع استيفاء غاية الزمان في قوله: حتى يكون انجعافها، حيث أفادت (حتى) الغاية.

٤- حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ قَالَ: «كَيْفَ بِنَسَبِي» فَقَالَ حَسَّانُ: لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ، وَعَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: «لاَ تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [٣].

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، ٣٤١/٨.

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت٩٤٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٣١٦/٢.

(٣) صحيح البخاري، ١٨٥/٤.

تضمَّن الحديث موقفًا من مواقف المنافحة عن الدين، للصحابي الجليل حسان بن ثابت، حيث انبرى لهجاء المشركين المعتدين بأشعارهم على الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، مما جاء في سياقه التشبيه التمثيلي: لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، فبدت مفارقة تصويرية قوامها حالة إحاطة المشركين المعنوية بالنبي، صلى الله عليه وسلم، مما يشابه حالة اختلاط الشعرة بالعجين، بحيث يصعب فصلها عنه، مما ربط بين الحالتين في ذهن السامع، وعزَّزه التشبيه التمثيلي الذي اعتمد على "انتزاع وجهه من متعدد؛ إذ التمثيل في الأصل هو التشبيه"(١).

فأوحت المفارقة التصويرية السابقة بصعوبة المهمة الملقاة على عاتق المتكلم، وشدة حصار المشركين المعنوي للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما عبَّر عنه التشبيه الوارد، فقرَّب بين الحالة الواقعة، ونظيرتها المفترضة المتخيَّلة.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية التوكيد باللام والنون المشددة في قول حسان: لأسلنَّك، مع دلالة حرف الجر (من) على انتهاء غاية المكان(٢)، مما يدل على الحصار والإحاطة، والنهي الوارد في قول عائشة، رضي الله عنها: لا تسبه؛ لتحذير السابّ، والجملة المؤكدة بـ (إن) لتعليل موقفها من سب حسان

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني) لمحمد بن عرفة الدسوقي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، ٣٨٨/٣.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ج ١(ص٣١٣).

بن ثابت، رضي الله عنه، مما أسهم في إبراز موقفه تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، وما يشتمل عليه من مروءة وفداء.

٥- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا " (١).

تضمَّن الحديث النهي عن الإضرار بالغير تحت مسمَّى الحرية الشخصية، فيكون مرتكب هذا الفعل معتديًا في حقيقة الأمر على المجتمع، فلا يُقبَل عذره حال زعمه حرية تصرفه في "موضعه من الحياة الاجتماعية، يصنع فيه ما يشاء، ويتولَّاه كيف أراد، موجِّهًا لحماقته وجوهًا من المعاذير والحجج" (٢)، وهو ما تطلَّب من المتكلم تقريب المعنى إلى السامع، فجاء التشبيه التمثيلي الوارد في الحديث لأفراد المجتمع بركَّاب السفينة، حيث لا يجوز لأحد الركاب خَرْق موضعه لارتباط تصرفه بمصير الآخرين، فانسحب الحكم بذلك على مُدَّعي الحرية المجتمعية الذي لا يجوز له التهتُّك باسمها، مما نشأت عنه مفارقة بين القائم على حدود الله، وهو" المنكر للمحرمات والناهي عنها"(٣)، وبين هذه الشريحة التي لا تعي مفهوم الحرية على وجهها الصحيح.

(١) صحيح البخاري، ١٣٩/٣.

(٢) وحي القلم، تأليف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٥/٣.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٦٢/٢.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية: تعريف لفظ (القائم) لاستغراق القائمين على حدود الله جميعهم، والطباق بين الأعلى والأسفل، مما يعكس كثرة الراكبين، واستخدام المتكلم أداة الشرط (لو) للامتناع، وهو ما يناسب فرضية الموقف للتمثيل به لا للحقيقة، مع تنكير لفظ (خرقًا) للتقليل؛ للتدليل على حتمية الهلاك حال إحداث ولو خرق صغير بالسفينة، فضلًا عن المقابلة بين حالتيْ الشرط: فإن يتركوهم وما أرادوا... هلكوا جميعًا- إن أخذوا على أيديهم... نجوا جميعًا، مع مراعاة المضارعة التي جاء عليها الفعل (يتركوهم) لبيان حتمية هلاك الجماعة التي تتجاوز عن هذا السلوك في أي زمان ومكان.

٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ القَعْقَاعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ القِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً - فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: ((أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ)) (١).

تضمَّن الحديث دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم، بالبُعد عن الخطايا والتطهُّر منها، وهو ما استخدم التشبيه لإبرازه في تمثيل المباعدة بينه وبين خطاياه بالمباعدة بين المشرق والمغرب، فضلًا عن تطهُّره منها كما يَطهَّر الثوب الأبيض مما علق به من قذر ودنس، ومن ثم اشتمل التشبيهان التمثيليان على مفارقة تصويرية، من مراعاة البعد المكاني في التشبيه الأول، بما يدعم فكرة الهرب من الذنوب بالاستغفار والتوبة في

(١) صحيح البخاري، ١٤٩/١.

مقابل نظيرتها بين المشرق والمغرب، والتطهُّر منها في التشبيه الثاني كنتيجة لذلك، ولما كان التطهُّر "أظهر في الثوب الأبيض من غيره من الألوان وقع التشبيه به"[١]، مما ربط المفارقة بالتصوير المادي الملموس مُنتزَعًا من الواقع الذي يدلَّ على "صدق المشابهة بين المشبَّهِ، والمشبَّه به"[٢].

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية تكرار النداء (اللهم) للتأكيد على طلب التوفيق والمغفرة من الله تعالى، وإيراد أفعال الدعاء باعِد، نقِّني، اغسل؛ للتأكيد على صدق النية في التوبة، ومراعاة تعدد وسائل التطهير في تعدد العطف: الماء والثلج والبرد، مما يعكس الرجاء والتذلل في حضرة الله تعالى.

٧- سَمِعْتُ النُّعم حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مُاَنَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» [٣].

تضمَّن الحديث التأكيد على صفة التعاون والتراحم بين المسلمين، حيث يبدون كجسد واحد، مما عبَّر عنه التشبيه التمثيلي في الحديث، حيث ربط المتكلم بين وحدة المسلمين، وتجمعهم لنجدة أحدهم عند تعرُّضه لأزمة من الأزمات، والجسد الواحد الذي تتأثر جميع أعضائه عند مرض أحدها، مما يبرز المفارقة التصويرية المتضمَّنة في التشبيه؛ لبيان علاقة الفرد بالجماعة، فتحيل إلى واقع مجتمعي يعتمد على التكافل المجتمعي الإسلامي، ويقوم على المودَّة والرحمة كأساس لعلاقة الفرد بالآخر، مما يصب

(١) أحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، دط، ١/٢٣٠.
(٢) البلاغة العربية، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٢/١٧٢.
(٣) صحيح البخاري، ٥/٢٢٣٨.

في مصلحة المجموع ؛ إذ "وجه التشبيه التوافق في التعب والراحة" [١]، والتكافل المبني على التعاون.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية مثل تعدُّد العطف فى تراحمهم وتوادهم وعطفهم؛ لتعدد وجوه التكافل لدى المؤمنين، واستخدام أداة الشرط (إذا) للتحقيق، ودلالة الفعل (تداعى) على تجدد هذا السلوك بين المؤمنين على النحو الذي يكون في جسد الإنسان.

٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ» [٢].

تضمَّن الحدث امتداح النبي صلى الله عليه وسلم تعمُّق الإيمان في قلب المؤمن، وانعكاساته المتعدِّدة على سلوكياته، مما يجعله أشبه ما يكون بشجرة العنب (الكرم) التي تمتد جذورها، وتتفرع غصونها بما يزيِّن الشجرة كلها، مما عقد مقارنة بينها وبين قلب المؤمن، فجاء التشبيه البليغ: الكرم قلب المؤمن الذي أشبه الكرْم؛ لما "فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام"[٣]، حيث نشأت مفارقة تصويرية قوامها وجه الشبه بين الكرم كشجرة عميقة الجذور، عظيمة الطرح، وافرة الثمار، وشجرة الإيمان

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٠٧/٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ٥١/٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخارى لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٥٧٦/١٠.

في قلب المؤمن، من "لين الْقلب وانقياده، بِمَنْزِلَة شجر الْكَرم أَيْنَمَا قدته انْقَادَ"[1]؛ كدليل على صدق الإيمان ، وتوغُّله في القلب.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية: استخدام واو الاستئناف في قوله "ويقولون" كإيجاز لوصف الشعراء للكرم، على النحو الذي لن يفيد السامع، وجاء تعريف لفظ (الكرم) لاستغراق الجنس، والقصر بـــ (إنما)، حيث قصر المتكلم الموصوف على المؤمن كسمة مميِّزة له.

(١) الأمثال من الكتاب والسنة لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون – دار أسامة، بيروت، دمشق، ص٩٠.

المطلب الآخر

التصوير القائم على المجاز والكناية

هذا المطلب يلتئم تحت ثمانية أحاديث، تفصح الخمسة أحاديث الأول عن بلاغة الكناية، وثلاثة أحاديث في التجوز في الاستعارة أو المجاز المرسل، وذلك على النحو الآتي:

١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ، فَلاَ يَأْخُذْهَا)) [(١)].

تضمَّن الحديث الحثَّ على الصدق، وعدم الكذب أمام القاضي، أو السعي لاستغلال القدرة على الفصاحة، وطلاقة اللسان في اللحن، و"اللَّحْنُ: ما تَلْحَنُ إليه بلسانك، أي: تميل إليه بقولك"[(٢)]، وهو كناية عن القدرة على الإقناع بفنون القول، ومن ثم التأثير في القاضي؛ بإمالة صاحب البيان "الباطل إلى الحق بفصاحته وعلمه"[(٣)]، مما تضمَّن مفارقة تصويرية بين نقيضين من المتخاصمين: أحدهما يمتلك أدوات الإقناع من سحر البيان، وهو ما تعلَّق به اللحن، والثاني: الأحقَّ إلا أن ملكة الإبانة تعوزُه، فيضطر القاضي إلى الحكم للأول غير المستحق

(١) صحيح البخاري، ٣/١٨٠.

(٢) كتاب العين، الفراهيدي، ٣/٢٢٩.

(٣) أدب الكتاب لأبي بكر محمد بن يحى الصولي (ت٣٣٥هـ)، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، نظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، مصر – المكتبة العربية، بغداد، ط ١٣٤١هـ، ص١٣١.

على حساب صاحب الحق؛ بمقتضى "وجوب الحكم بالظاهر"[١]، وعدم إلزام القاضي بالكشف عن نوايا المختصمين.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية: اسم التفضيل (ألحن) الموحي بفصاحة أحد الخصمين على الآخر، وزيادة المفضل على المفضل عليه في الفصاحة الإبانة[٢] مما قد يؤدي لضياع الحق، وتنكير لفظ (شيئًا) للتقليل؛ لتغليظ عقوبة المقترف لهذا الفعل في الآخرة، وهو ما دل عليه حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض في قوله: قطعة من النار؛ لتنفير السامع من استحلال ما لا حق له فيه، والتأكيد على هذا المعنى بالنهي: فلا يأخذها للتحذير.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) [٣].

تضمَّن الحديث الحثَّ على التبكير إلى المساجد، لا سيما في صلاة العتمة، أي: العشاء، والفجر على وجه الخصوص؛ كونها "أعظم الصلوات أجرًا، وأتمَّها

(١) معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ١٦٣/٤.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م ، ١٠٥/٣.

(٣) صحيح البخاري، ٢٣٣/١.

فضلًا"[1]، وجاءت المفارقة في قول النبي، صلى الله عليه وسلم: ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، وقول: لأتوهما ولو حبوًا، وهما كنايتان عن صفة حرص المؤمن عليهما، ومن ثم جاءت المفارقة التصويرية توضح شدة الاهتمام من جانب المؤمن، مع التجاهل والإعراض من المنافق؛ لأن "المنافق لا ينشط للصلاة إلا إذا رآه الناس"[2]، فكان الحبو دليلًا على ابتغاء مرضاة الله، في مقابل الإعراض والتخفِّي من المنافقين.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية مثل استخدام المتكلم لأداة الشرط (لو) للامتناع، وتوحي بعدم إدراك السامع لأهمية الاستباق إلى الصلاة، والوقوف بالصف الأول، وحرف العطف (ثم) للتراخي الذي يعكس الحيرة المسيطرة على المصلين لتنافسهم على الصلاة في الصف الأول، وجدالهم في ذلك، وكرَّر المتكلم الشرط للتأكيد على أهمية ما يدعو له، كما أوحى لفظ (حبوًا) بشدة حرص المؤمنين على الصلاة في المسجد، والرغبة في صلاة الجماعة بأي وسيلة مكَّنتهم من تحصيلها.

٣- حَدَثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ

(١) المنتقى شرح الموطإ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢هـ، ٢٤٥/١.

(٢)اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥هـ، ص٦١.

النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»[١].

تضمَّن الحديث التحذير من ممالأة الناس؛ بغية الوقوف على أسرارهم، أو السعي لنيل رضاهم، وهو ما عبَّرت عنه الكناية فى قوله صلى الله عليه وسلم: يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه، من قصد المتكلم و" طلب نفس صفة"[٢] خداع الناس من المنافق، والتحايُل على اطلاعه على أسرار الطائفتين"[٣] مما يوقع الضرر بالآخرين، فكانت المفارقة بين الوجهين المذكورين، وتعمُّد إرضاء كل فريق بمشايعته على رأيه، وربما وصل الأمر إلى كشف أسرار الفريق الثاني، مما حذَّر منه النبي، صلى الله عليه وسلم، ودلَّت عليه الكناية مستهدفًا إبراز قدرة المنافق على إقناع كل فريق بميله إليه.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية منها المضارع (تجد) للدلالة على الحدوث في المستقبل على التحقيق، ومن ثم تعريف لفظ (القيامة) للعهد الحضوري، واستخدام المتكلم لحرف الجر (من) الدالة على التبعيض في قوله: من شر الناس؛ لبيان أن المحذَّر من فعله من الأفعال المنهي عنها، وأفاد اسم التفضيل (شر) انحطاط مكانة من يسلك هذا السلوك، وتكرار اسم الإشارة (هؤلاء) للتأكيد على ذم النفاق وخديعة الناس، مع مراعاة دلالته على القرب للتحذير من عاقبة هذا السلوك في المجتمعات كسلوك معيب إلى قيام الساعة.

(١) صحيح البخاري، ١٨/٨.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي، ٤٠٣/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي، ٩٠/٨.

٤- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ أَهُمَا الخَيْطَانِ؟، قَالَ: «إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الخَيْطَيْنِ»، ثُمَّ قَالَ: «لاَ بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ» (١).

تضمَّن الحديث توضيح النبي صلى الله عليه وسلم معنى قوله تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) (٢)، حيث توهَّم السامع أن الخيطين المذكورين على نحو ما يحيك به المرء ثوبه، مما تطلَّب مداعبة النبي صلى الله عليه وسلم له بالكناية فى قوله: إنك لعريض القفا، أراد: "إنك غليظ الرقبة وافر اللحم"(٣)، ومن ثم فستحجب رقبتك الضوء فلا ترى الخيطين، فتستمر في تناول الطعام، مما تضمَّن مفارقة بافتراض صحة ما يقوله المتكلم، فيترتب على ذلك تباين موعد ابتداء الصيام بين المسلمين بحسب زاوية رؤية الخيطين لكل فرد، مما لم تقصده الآية، فأسهمت المفارقة المتضمَّنة في الدعابة من التكنية عن المقصود "في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح"(٤)؛ لرغبة المتكلم في إيقاظ ذهن المخاطَب، وحثِّه على الفهم الصحيح للمقصود من لفظ (الخيط) في الآية.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية كالاستفهام في أهما الخيطان؟ ويوحي بحرص السائل على استجلاء الحكم الشرعي، وتعريف

(١) صحيح البخاري، ٢٦/٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٧.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ٤١/٤.

(٤) سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٦٣.

لفظ (الخيطان) للعهد الذهني، والإضراب بحرف العطف (بل) الذي أفاد أن الخيطين المذكورين في الحديث الليل والنهار لا غيرهما.

٥- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ زَهْدَمَ بْنَ مُضَرِّبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» (١).

تضمن الحديث تقرير بقاء صفات الإيمان والإحسان في القرون الثلاثة الأولى بعد النبوة، ثم يبدأ الدين في التضاؤل في النفوس، حيث يطغى حب الشهوات على النفوس، مما استخدم معه النبي صلى الله عليه وسلم الكناية في قوله: ويظهر فيهم السِّمَن، حيث عبَّرت الكناية عن "رغبتهم في الدنيا، وإيثارهم شهواتها على الآخرة، فهم يأكلون فى الدنيا كما تأكل الأنعام"(٢)، ومن ثم جاءت المفارقة التصويرية بين الأجيال الثلاثة الأولى ومن تلاهم، فترسَّم السامع دلالة الكناية التي جاءت السمنة والبدانة كدليل عليها، مما كانت الكناية فيه "أبلغ من الإفصاح بالذكر"(٣)، وأقدر على ترسيخ المعنى مصحوبًا بما يدل عليه على نحو مادي ظاهر ملموس.

(١) صحيح البخاري، ١٧١/٣.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ١٥٦/٦.

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة تأليف: عبد المتعال الصعيدي (ت١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٥٥٥/٣.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية كاسم التفضيل (خيركم) الموحي بأفضلية زمن النبي، صلى الله عليه وسلم على ما سواه، وأكد اقترانه بكاف الخطاب المعنى وخصَّصه، وقدَّم المتكلم خبر إن (بعدكم) لتخصيص المستقبل بالأفعال المنهي عنها، وهو ما دلت عليه المتقابِلات في " يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون"، كأفعال أكَّدت على انحراف البعض في المستقبل، مما يعكس أفضلية القرن الأول على ما عداه.

٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: ((إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَدَعُوا الصَّلاَةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَدَعُوا الصَّلاَةَ حَتَّى تَغِيبَ. وَلاَ تَحَيَّنُوا بِصَلاَتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلاَ غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوِ الشَّيْطَانِ))[(١)].

تضمَّن الحديث النهي عن الصلاة بعد الفجر، وعند غروب الشمس؛ لعدم التشبُّه بالكافرين الذين يسجدون للشمس من دون الله تعالى، وهو ما عبَّرت عنه الاستعارة في قوله صلى الله عليه وسلم تطلع بين قرنيْ شيطان، مما تضمَّن مفارقة متضمَّنة في التعبير المجازي، و"استعارة القول، واتساع الكلام"[(٢)]، بين الصلاة في الوقتين المذكورين، وإباحتها فيما عدا ذلك.

(١) صحيح البخاري، ١٢٢/٤.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي – محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ، ١١/٤.

كما اقترنت المفارقة باختصاص النهي بالصلاة وحدها دون سائر العبادات؛ إذ يصح الصيام وقراءة القرآن في هذين الوقتيْن ، بمقتضى المخالفة أو المفارقة بين المذكور وغيره من العبادات.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية منها استخدام المتكلم لأداة الشرط (إذا) للتحقيق، والأمر (فدعوا) للحث والتشجيع، وتكراره للتأكيد، ودلالة (حتى) على الغاية الزمانية، بحيث لا تجوز الصلاة مع استيفائها، وهو ما دل النهي فيقوله لا تحيَّنوا للتحذير، والتأكيد بـ (إن) في قوله: فإنها تطلع؛ كتعليل للنهي الواردفى الحديث.

٧- وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ: حَدَّثَنِي عَمْرٌو، «ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ» وَقَالَ سُلَيْمَانُ: عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «كُلُّ بُسْتَانٍ عَلَيْهِ حَائِطٌ فَهُوَ حَدِيقَةٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَائِطٌ لَمْ يُقَلْ حَدِيقَةٌ» (١).

وقد تضمَّن الحديث امتداح النبي صلى الله عليه وسلم لجبل أحد وأهله، فجاء المجاز في قوله صلى الله عليه وسلم: يحبنا ونحبه، يريد: "إنه جبل يحبنا أهله ونحبهم، وأضيف الحب إلى الجبل لمعرفة المراد في ذلك عند المخاطبين"(٢)، فكان التجوُّز عن سكان الجبل بالجبل نفسه "من باب التوسع"(٣)، كتعبير عن الحالِّ بما حلَّ فيه، فهو مجاز مرسل علاقته المحلية، مما نشأ عنه مفارقة بين طبيعة محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام للجبل، وحب الجبل نفسه، الذي جاء على سبيل الاستعارة المكنية، وإحالة المتكلم الجبل لشخص يبادل المتكلم الحب، فترسَّخ مفهوم المشاركة بين شخصين في الحب لدى السامع؛ لتمثُّله حب الجبل الجامد بحب شخص ذي إحساس وعاطفة كسائر البشر.

(١) صحيح البخاري، ١٢٥/٢.
(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، ٣٣١/٢٢.
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، ٦٦/٢.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية منها استخدام المتكلم الأسلوب الخبري للتقرير، ودلالة (نا الفاعلين) التي تكررت في الفعلين:" يحبنا ونحبه"؛ لبيان ارتباط المؤمنين بالجبل، وحبهم إياه.

٨- حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي مُزَرِّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمِّي سَعِيدَ بْنَ يَسَارٍ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ))[١].

تضمَّن الحديث الحضَّ على صلة الأرحام، مما استخدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم المجاز في حديث الرحم، ورجائها ربها أن يعيذها من القطيعة، مما أبرز مفارقة في التصوير، قوامها استحالة الرحم إلى شخص يتكلم، على النحو الذي ذكر فيه المتكلم "ما يناسبه، كدليل على أن النطق يقرب من الأفهام بالأمثال التي تصوِّره شخصًا"[٢]، وترتَّب على ذلك المفارقة بين رضا الله تعالى عمن يصل الأرحام، في مقابل غضبه على من قطعها، وهو ما أقرَّ المعنى في نفس السامع؛ لتمثُّله شخصًا يطلب ويرجو، فضلًا عن مخاطبة الله تعالى له، مما عزَّز المعنى في نفس السامع وقوَّاه.

ومما دعم المفارقة التصويرية الواردة بالحديث من جوانب بلاغية كاستخدام أداة الشرط (لمَّا) للتزمين بمعنى (حين)، مما يزامن بين خبق الخلق وحديث الرحم الوارد، والإيجاز في قول الله تعالى: فهو لك والتقدير: صلتي لمن وصلك، وقطيعتي لمن قطعك لك.

---

(١) صحيح البخاري، ٥/٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، ٢٥٤/٦.

المبحث الثالث

مفارقة الموقف في الحديث النبوي الشريف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ما يتعلق بالأمور الدنيوية

المطلب الآخر: ما يتعلق بالأمور الأخروية

المبحث الثالث

مفارقة الموقف في الحديث النبوي الشريف

المطلب الأول

الأمور الدنيوية

تختلف الأمور الدنيوية من عصر لعصر، وتتحرك مجريات الحياة متقلبة بالعباد، مما قال فيه الله تعالى: ((إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (١).

وفي خضم تلك التقلبات، تتباين أحوال العبد، ما بين الازدياد والنقصان في المال والأهل والولد، وما وقر في القلب من إيمان على النحو الذي تتعدد فيه مفارقة الموقف، وترتبط بالأحداث الحياتية في حياة البشر.

تضمن الكتاب محل الدراسة مواضع عديدة مما راعى فيه النبي صلى الله عليه وسلم تعلُّق المفارقة بالأمور الدنيوية، ومن ذلك:

١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (٢).

(١) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري، ٢٠/١.

تضمَّن الحديث الحثَّ على استحضار النية فيما يقوم به المسلم من كافة أعماله؛ لأنها مناط القصد والطلب، ومن ثم تُعتبَر "صحة الأعمال ووجوب أحكامها بالنية؛ فإن النية هي المصرِّفة لها إلى جهاتها"(١)، فقد تتشابه الأفعال وتختلف نيات فاعليها، ومن ثم يختلف الجزاء من ثواب أو عقاب.

وقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على مفارقة الموقف من فعل الهجرة، والانتقال من بلد إلى أخرى، فكان ما يستحق الثواب العظيم الهجرة في سبيل الله، بينما جاءت الهجرة بهدف إحراز المكاسب الدنيوية على النقيض من عدم استحقاق فاعلها للأجر، والثواب من الله تعالى.

وقد تضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف منها: براعة الاستهلال في قول الحبيب: الأعمال بالنية، فقد أوجز مضمون الحديث في لفظين، مما مهَّد للسامع ونوَّه له بالموضوع المتناوَل، والقصر بتقديم الجار والمجرور (لكل) لتخصيص العمل بالنية، ودلالة التقابل بين جملتيْ الشرط في الحديث، مما أوحى بترتُّب الجزاء على نية العمل، وهو ما يدعم الفكرة ويقويها.

٢- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا» (٢).

(١) معالم السنن، للخطابي، ٣/٢٤٤.

(٢) صحيح البخاري، ١/٥٣.

تضمَّن الحديث النبوي نُصح المؤمنين بعدم الاستهانة بالذنب ولو كان من الصغائر، وهو ما تمثَّل في تعذيب صاحبيْ القبريْن الواردیْن في الحديث، مما نشأ عنه مفارقة بين موقفين: موقف من يرتكب الكبيرة وهو يعلم عاقبتها، ونظيره ممن يرتكب الصغائر مستهينًا بها، غير مبالٍ بعاقبتها؛ بدلالة أنهما "ما يُعذَّبان في كبير، معناه: إنهما لم يعذَّبا في أمر كان يكبُر عليهما، أو يشقُّ فعله لو أرادا أن يفعلاه" (١).

أما المشي بالنميمة، فإنه ينشر ثقافة إفشاء السر، ويقترن بالغيبة التي دلَّت عليها النميمة، فذكر "النميمة تنبيهًا على اجتماعهما في المعنى" (٢)، وهو مما قد يتطور بمرور الزمن إلى نشر الشائعات، ولقد كانت قصة الإفك (٣)، أبلغ مثال على هذا السلوك المنحرف الذي كان من الممكن تداركه بيسر وسهولة؛ بالاحتياط في الألفاظ، وعدم نقل ما انتشر من عيوب الناس.

وقد تضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف منها: بناء الفعل (يُعذَّبان) للمجهول للعلم بالفاعل وتعظيمه، ودلالة (لعل) على رجاء المتكلم تخفيف العذاب عن المقبوريْن، مع استغراق الزمن حتى تيبُّس الجريدتين، مما تضمن غاية الزمن، والتقدير: ما لم تيبس الجريدتان فسيخفف عنهما العذاب.

---

(١) معالم السنن، للخطابي، ص١٩.

(٢) المتواري على تراجم أبواب البخاري، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني (ت٦٨٣هـ)، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا، الكويت، ص٣٥٨.

(٣) ينظر: المغازي لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ٤٢٦/٢.

٣- عن عائشة، رضي الله عنها، أنها أرادت أن تشتري (بريرة)، وأن أهلها اشترطوا ولاءها، فذكرت ذلك للنبيِّ، صلى الله عليه وسلم، فقال: ((اشْتَرِيهَا، فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّمَا الوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)) (١).

تضمَّن الحديث بيان حكم جهة ولاء العبد أو الجارية المُعتَقة، من كونه حقًّا لمن أعتق، لا للمالك الأصلي الذي قام بعملية البيع، وهو ما تضمَّنه الحديث من اشتراط أهل (بريرة) ولاءها، مما لم يُبِحْهُ النبي صلى الله عليه وسلم فنشأت مفارقة تعتمد على موقف أهل (بريرة) المشترِط للولاء، في مقابل موقف أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها، مما نتج عنه التوجيه النبوي الشريف الوارد أي: "الشرط الذي شرطوه غير مانع لك من ولائها"(٢).

كما ارتبطت المفارقة الواردة بعادة اجتماعية صحَّحها النبي صلى الله عليه وسلم من أن الولاء لمن أعتق، مما يعكس تصحيحًا نبويًّا كريمًا لمسار المجتمع تجاه إحدى قضاياه المهمة.

وتضمن الحديث جوانب بلاغية منها الأمر (اشتريها-فأعتقيها) للحث والنصح، ودلالة الفاء على السرعة بمعنى: العتق فور الشراء، والقصر (فإنما الولاء) للتخصيص والحصر، ودلالة الفاء على الترتيب والتعقيب، واستغراق الاسم الموصول (من) لكل بالغ عاقل تنطبق عليه شروط الحكم.

٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ رَبِيعَةَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ مَوْلَى المُنْبَعِثِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ

(١) صحيح البخاري، ٢/٩١٠.

(٢) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، حقَّق أصله، وعلَّق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخُبَر، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٤/١٣٣.

أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَمَّا يَلْتَقِطُهُ، فَقَالَ: «عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ احْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا، وَإِلَّا فَاسْتَنْفِقْهَا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ»، قَالَ: ضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ المَاءَ، وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ» [(١)].

تضمَّن الحديث بيان حكم اللُّقَطة، مما قد يجده المسلم من مال أو متاع بلا صاحب أو مالك[(٢)]، فكان الحكم التعريف باللقطة عامًا، ثم استحلالها، وهو ما انطبق على ضالة الغنم، وقد اختلف الحكم في ضالة الإبل، حيث لم يُبِح النبي صلى الله عليه وسلم لواجدها أخذها؛ لكون الغنم يُخشى عليها من الذئب، فكان الانتفاع بها أولى، أما الإبل فلا يخشى عليها ذلك، فضلًا عن تغذِّيها على المراعي التي كانت موجودة في تلك البيئة؛ فلهذا "جاز أخذها دون الإبل"[(٣)]، ومن ثم نشأت مفارقة قوامها موقف المسلم حال عثوره على مال أو ضالة غنم، حيث يجوز له استحلاله بعد تعريفه عامًا، وموقفه حال العثور على ضالة الغنم، وعدم جواز استحلالها أو امتلاكها.

كما ارتبطت مفارقة الموقف بدلالات بلاغية كالنداء في: "يا رسول الله" للتعظيم، والكناية عن الغضب (فتمعَّر) مما يدل على عدم الاستحسان، وتقديم الخبر (معها حذاؤها) للقصر والتخصيص بعدم جواز أخذها أو عدِّها ضالة.

(١) صحيح البخاري، ١٢٤/٣.

(٢) ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي، تأليف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (معاصر)، بيت الأفكار الدولية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ٦١٣/٣.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢م، ٢٣/١٢.

٥- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، ذَكَرَ عُرْوَةُ أَنَّ مَرْوَانَ، وَالمِسْوَرَ بْن مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ: " إِنَّ مَعِي مَنْ تَرَولنَ، وَأَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا المَالَ وَإِمَّا السَّبْيَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ "، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: طَيَّبْنَا لَكَ ذَلِكَ، قَالَ: «إِنَّا لاَ نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا، فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنَا عَنْ سَبْيِ هَوَازِنَ، وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَادَيْتُ نَفْسِي، وَفَادَيْتُ عَقِيلًا [١].

تضمَّن الحديث تخيير المسلمين في إرجاع ما غنموه من قبيلة (هوازن) لها؛ لكون أفراد القبيلة قد أسلموا، وبين الإبقاء على قيمة الغنائم، كحق مؤجَّل يقتضيه صاحب الحق من أول فيء مَنَّ الله تعالى به على المسلمين، مما نشأت عنه مفارقة في موقف التخيير من تنازل المسلم عما غنمه في مقابل تمسُّك غيره بذلك الحق.

(١) صحيح البخاري، ١٤٧/٣.

وكان لتخيير المسلمين، وعدم إلزامهم باختيار معين ذا أثر إيجابي، فتنازلوا عما غنِموه كاملًا، يقضي فيه النبي صلى الله عليه وسلم كيفما شاء.

كما ارتبطت المفارقة بإبراز قيمة الغنيمة المعنوية من إسلام قبيلة (هوازن) في مقابل الغنيمة المادية المتروكة، وهو ما أدركه المسلمون، وحرصوا على التمسك به كدليل صادق على جهادهم في سبيل الله تعالى بإخلاص، وعدم حرصهم على مغنم سوى رضا الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وتضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف، منها: التأكيد بـ (إن) في قوله: "إن معي من ترون"، والقصر بتقديم الخبر (معي) لحصر الخيار بين المال والسبي، والشرط في قوله: فمن أحب... للتخيير، وهو أدعى لطيب النفس الوارد في الحديث، مع مراعاة دلالة (حتى) في قوله: حتى نعطيه، مما يوحي بالصدق والمصارحة، واستيفاء غاية الزمان إلى أن يأذن الله بغنائم أخرى، وتكرر استخدام (حتى) في قوله: حتى يرجع إلينا عرفاؤكم، ويدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تشاور الناس في أمرهم، وعدم تأثر قرارهم بمهابة الوقوف في حضرته الشريفة، فيكون الأخذ منهم بسيف الحياء.

٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» (١).

(١) صحيح البخاري، ٩/٨.

تضمَّن الحديث الحضَّ على رعاية الحيوان، وعدم إيذائه أو تعذيبه، والرفق به كما لو كان إنسانًا عاقلًا، مما نشأ عنه مفارقة بين موقفين هما: الرفق بالإنسان على النحو الذي أسَّست له الشريعة الإسلامية، في مقابل الرفق بالحيوان، مما تعجب له السامعون، وجاء الاستفهام في نهاية الحديث دليلًا على دهشتهم، واستبيانهم حكم الرفق بالحيوان، وما له أجر وعظيم ثواب.

وتمثلت المفارقة في شعور الكلب بالعطش، وهي حالة شعر معها الرجل بما شعر به الكلب، فنزل البئر، وتحايل على عدم وجود إناء يشرب فيه الكلب بملء خفه ماء؛ شفقة منه على حال الكلب، وإدراكًا أن تخاذله عن إنقاذ الكلب من الموت عطشًا بمثابة تعطيش للكلب، و"التعطيش، والتجويع تعذيب، والله تعالى لا يريد أن يعذب خلقه"[(١)].

وتضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف، منها: تنكير لفظ (بئر) في قوله: فوجد بئرًا للعموم والشمول، والكناية في قوله: يأكل الثرى من العطش، والتشبيه في قول الرجل: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي.. ويوحي بإحساس الرجل بعطش الكلب، وتأثره له، واستخدام المتكلم لفظ (كل) لعموم الثواب في كل أنواع الحيوان، مما يدل على رحمة الإسلام الواسعة.

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ٢٦٨/١.

المطلب الثاني

الأمور الأخروية

تختلف أحوال العباد في الآخرة، وتتقلب بين السعادة والشقاء، مما قال فيه الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)) (١).

وتتباين المواقف يوم القيامة، فيفرح المؤمنون بجزيل عطائهم، بينما يعض الكافر على يديه ندمًا وأسفًا على ما ضيَّع في حق الله تعالى، ويصدق ما قد أنذره به الأنبياء والمرسلون بعد فوات أوان الإيمان.

ترتبط جميع هذه المشاهد بمفارقة الموقف ارتباطا وثيقا؛ إذ تتناقض مظاهر الفرح والحزن من المؤمن والكافر على النحو الذي ترتب على أعمالهما في الدنيا، فأقبل فريق على الأخرة عازفًا عن الدنيا، في مقابل إقبال الفريق الآخر على الدنيا عازفًا عن الآخرة.

وقد تضمن الكتاب محل الدراسة مواضع عديدة مما راعى فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، تعلُّق المفارقة بالأمور الأخروية، ومن ذلك:

١- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ أَبَا مُرَّةَ، مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله

(١) سورة الشورى: ٧.

عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ، فَآوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ[1].

تضمَّن الحديث الحضَّ على طلب العلم، والتفقُّه في الدين، والحرص على مشاركة المسلمين من مواقف المسلمين الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث، مما نشأت عنه مفارقة اعتمدت على تباين مواقفهم، ومن ثم مجازاة الله تعالى لكل منهم بما يستحقه، من إيواء الله تعالى للأول، ودخوله في حفظ الله ورعايته، واستحياء الله من الثاني، ومكافأته على استحيائه، وجلوسه خلف الصف؛ إذ "ترك أَذَى الْقَوْم بمزاحمتهم فِي الْحلقَة، فَجَلَسَ خَلفهم"[2]، وإعراض الله وغضبه من موقف الثالث الذي انصرف عن حلقة يُذكَر فيها اسم الله تعالى، فقابل الله تجاهله بمثله.

وجاءت الأفعال الواردة تلائم موقف كل من الثلاثة المذكورين، حيث دل الفعل (آوى) على الشعور بالاحتواء والطمأنينة، ودل الفعل (استحيا) على كرم الطباع وحسن السجايا، ودل الفعل (أعرض) على اللامبالاة وغِلَظة القلب، على النحو الذي استوجب مجازاة الله لكل منهم بما يستحقه من جزاء.

وتضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف، منها: استخدام المتكلم لـ (إذ) الظرفية لتزامن دخول الثلاثة رجال مع جلسة النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وتنكير لفظ (فرجة) لتقليل المساحة المتاحة لجلوس الرجل، وتوحي بحرصه على الجلوس، والاستفهام (ألا أخبركم) لتقرير حرص المتكلم على إخبار الجلوس بأمر الرجال الثلاثة، والتجانس اللفظي بين فعل كل منهم وجزاء الله تعالى

(١) صحيح البخاري، ٢٤/١.

(٢) مشكل الحديث وبيانه لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت٤٠٦هـ)، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص٤٨٢.

لـه: آوى إلـى الله فـآواه الله- استحيا فاستحيا الله منـه-أعرض فـأعرض الله عنـه؛ لبيان أن جزاء الله لكل منـهم من جنس عملـه.

٢- حَـدَّثَنَا عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ يُوسُـفَ، قَـالَ: أَخْبَرَنَـا مَالِـكٌ، عَـنْ أَبِـي الزِّنَـادِ، عَـنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيـهِ وسَلمَ قَـالَ: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَـى قَافِيَـةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَـامَ ثَـلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَة عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَـلَّى انْحَلَّـتْ عُقْـدَةٌ، فَأَصْـبَحَ نَشِـيطًا طَيِّـبَ الـنَّفْسِ وَإِلاَّ أَصْـبَحَ خَبِيـثَ الـنَّفْسِ كَسْلاَنَ)) [(١)].

تضمَّن الحـديث توجيـه المسـلمين وإرشـادهم إلـى ضـرورة: ذكـر الله، الوضـوء والصلاة عند الاستيقاظ، وهو ضروري للشعور بصحة البدن، وإلا أصبح المسلم كسلان خبيث النفس.

وقد تضمن الإرشاد الوارد في الحديث معنى المفارقة بين موقفين: موقف من يلتزم بالتوجيه النبوي الكريم، في مقابل موقف من يتجاهله، مع ربط كل موقف بـأثره المـادي والنفسـي الظـاهر مـن الصـحة والنشـاط فـي مقابـل الكسـل، وخبـث النفس، وانعدام الشعور بالسكينة.

وقـد ضـاعف مـن قيمـة المفارقـة الحـوار الـذي يـوحي بـه الشـيطان للمسـلم، وإلحاحـه فـي ذلـك مـن تقـديم السـبب فـى قولـه: "عليـك ليـل طويـل"، والترغيـب فـي المسبب "فارقد"، فترسَّخ في نفس المؤمن ارتباط المفارقة بالتحذير من كافة حِيَل الشيطان للإيقاع بالمسلم، و"تسويفه بالقيام، والإلباس عليه لأن في بقية الليل من الطول ما لـه فيـه فسحة"[(٢)]، كما يعكس شدة حرص المتكلم على أمَّتـه، ومن ثم

(١) صحيح البخاري، ٢/٥٢.

(٢) المنتقى شرح الموطإ للباجي، ١/٣١٥.

يعدِّد الوسائل لتحذيرها من مغبَّة الانصياع للشيطان، ولو في أقل القليل من التقصير في الأعمال.

وتضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف، منها أداة الشرط (إذا) لتحقيق وقوع الإغواء من الشيطان، وهو ما دل عليه فعل الأمر (فارقد) للحث مع مراعاة دلالة (إنْ) الشرطية للشك في الاستيقاظ من عدمه، ومن ثم وجوب مبادرة المؤمن إلى الطاعة، وحذف فعل الشرط؛ لدلالة السياق عليه في نهاية الحديث، والتقدير: وإن لا يفعل المؤمن ذلك أصبح خبيث النفس كسلان.

٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَخِي عَبْدُ الحَمِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "[1].

تضمَّن الحديث توضيح موقف المعاندين المكابرين يوم القيامة، متَّخِذًا من (آزر) مثالًا على هذا التحول في استقبال دين الله تعالى، والمعنى: يرى نبي الله إبراهيم عليه السلام (آزر) وقد بدا في صورة ضبع كثيف الشعر متلطخ بالطين، مما نشأ عنه مفارقة بين موقف (آزر) يوم القيامة، وقناعته الكاملة باتباع نبي الله إبراهيم عليه السلام، وما كان عليه في الدنيا، وصدِّه عن دين الله، واستبعاده أن يكون ثمة بعث بعد الموت، فضلًا عن حساب الناس، ومجازاتهم على أعمالهم،

(١) صحيح البخاري، ١٣٩/٤.

مما قرن المفارقة في ذهن القارئ بشدة التحول، والرجوع إلى الحق بعد الإيغال في الباطل.... [1].

كما ربطت المفارقة بين مشهدين متناقضين الأول: ما ترسَّخ لدى السامع مما ورد في القرآن الكريم من إصرار (آزر) على الكفر، فكان بمثابة الرؤية، والثاني: ما لم يره المسلم من تراجع في موقف (آزر) تجاه دين الله ، وهو ما انسحب حكمه على بقية الكافرين، فأسهمت المفارقة بذلك في استثارة المخزون الذهني لدى السامع لكل من كفر بالله ، كنماذج تيقَّن من كفرها وجحودها في الدنيا، وعلم يقينًا تراجعها عن كفرها يوم القيامة.

وقد تضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف منها تقديم الجار والمجرور (على وجهه) للقصر والتخصيص، وحذف المتكلم حرف الجواب (بلى) في قول (آزر): فاليوم لا أعصيك، وكأنه لا يرغب في النطق بكلمة صريحة تدل على اتباع إبراهيم عليه السلام، فكان الرد لمجرد التخلص من الموقف، وجاء النداء (يارب) للتوسل والضراعة، في مقابل النداء (يا إبراهيم)؛ لتنبيهه أن الله حرَّم الجنة على الكافرين، وهو ما أكَّده الله تعالى؛ بدلالة (إنَّ) وبناء الفعل (فيؤخذ) للمجهول للعلم بالفاعل، وهم ملائكة العذاب.

٤- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي المُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ

(١) ينظر: لسان العرب ٥٣/٦.

لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا [1].

تضمَّن الحديث "التحذير الشديد من ارتكاب المظالم والتعدي على حقوق الآخرين سواء كانت بدنية أو مالية أو أخلاقية أو غيرها، لأن المظلوم يوم القيامة يأخذ من حسنات ظالمه، حتى يستوفي حقّه منه"[2]، مما اقتضى تفصيل اقتضاء الحقوق بين المؤمنين قبل دخولهم الجنة، وهو ما تضمَّن مفارقة بين موقفين: موقف صاحب الحق المقتضي لحقه؛ طمعًا في الارتقاء لدرجة أعلى في الجنة، وموقف من عليه الحق المفروض عليه توفية حق غريمه، مما يعرِّضه إلى نقصان ما له من حسنات، ومن ثم هبوطه إلى درجة أقل في الجنة.

وقد تضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف منها: أداة الشرط (إذا) لتحقيق وقوع التقاصِّ عند القنطرة، وتقديم خبر كان (بينهم) للتخصيص والقصر، وتوحي بالعدالة المطلقة يوم القيامة، ولو بين المؤمنين بعضهم بعضًا.

ودلت (حتى) على الغاية الزمانية، بمعنى استمرار التقاصِّ إلى بلوغ منتهاه من الزمن، وهو ما أكده القسم في: فوالذي نفس محمد بيده، وكنَّى المصطفى عن الله تعالى كمقسم به على سهولة تعرَّف المؤمن على داره في الجنة مقارنة بنظيرتها في الدنيا.

٥- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ اللهَ يُدْنِي

(١) صحيح البخاري، ١٢٨/٣.

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، ٣٦٢/٣.

المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}))[1].

تضمَّن الحديث بيان موقف كل من المؤمن والكافر يوم القيامة أمام ربه، وستر الله المسبول على المؤمن في مقابل فضح الكافر على رؤوس الأشهاد، حيث " يكلم الله كل عبد مؤمن، فيقرره بذنوبه"[2]، مما نشأت عنه مفارقة اعتمدت على تباين الموقفين، مع بيان أثر الستر على المؤمن من إعطائه كتاب حسناته، في مقابل افتضاح أمر الكافر الذي ستره الله في الدنيا إلى أجل معلوم.

كما ارتبطت المفارقة بمفهوم التوبة، وضرورة المبادرة إليها قبل فوات الأوان كمنحى سلوكي حرص البيان النبوى على إبرازه، وجاء ربط الموقفين كلٌّ بنتيجته، كحافز نفسي عمد إليه النبي صلى الله عليه وسلم لإبراز قيمة التوبة، والعمل في الدنيا قبل يوم القيامة؛ إذ لا اعتبار له يومئذ.

وتضمن الحديث جوانب بلاغية دعمت مفارقة الموقف منها: عطف (يستره) على (يضع عليه كنفه)؛ لتأكيد ستر الله المسبول على المؤمن يوم القيامة، والنداء: أي رب؛ للاستعطاف والتذلل، والكناية في قوله: حتى إذا رأى أنه هلك؛ كدليل على يأسه من رحمة الله، واستبعاده لها لكثرة ذنوبه، وبناء الفعل (يُعطى) للمجهول؛ للعلم بالفاعل وهم ملائكة الرحمة.

تم بحمد الله وتوفيقه

(١) صحيح البخاري، ١٢٨/٣، والآية من سورة هود: ١٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١٤٢٦هـ، ٢٠٢/٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من ختمت به الرسالات، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فبعد هذه المرحلة القصيرة مع البيان النبوي بغية الوقوف على إبراز بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم في توظيف المفارقة يمكن أن نرصد النتائج الآتية:

- اتسمت المفارقة في اللفظ، في الحديث النبوي الشريف بالجمع بين دلالتين مختلفتين في إطار النصح والحضِّ، أو النهي والتحذير، وغيرهما من أغراض المتكلم التي تهدف إلى تثبيت دلالة إيجابية معينة في نفس القارئ، في مقابل التنفير من نظيرتها السلبية.
- تنوعت آليات المفارقة في التركيب، من الاعتماد على الاستثناء، الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، مما أسهم في إبراز دلالات المفارقة من الحصر والقصر، أو الاعتماد على فهم السامع وإدراكه للمحذوف، أو الاهتمام بالمقدم، ما كان له أثر بارز في توصيل الفكرة للمتلقي على الوجه الذي يريده المتكلم.
- جاءت المفارقة التصويرية القائمة على التشبيه والمجاز منتَزَعة من البيئة العربية، على النحو الذي يراه السامع ويألفه كالزرع، حبة الأرز، الأرض المنبِتة والقيعان، والمطر والغيث، مما قرن المفارقة لدى السامع بالاعتماد على الصورة الذهنية، وما اعتاده من مدرَكات ألفها واعتادها فيما يحيط به، مما أثرى دلالات المفارقة المتنوعة، وأضفى عليها بعدًا من خيال السامع ومتراكمه الذهني.
- اعتمدت المفارقة القائمة على الكناية على استعمال المتعارف عليه من تعبيرات العرب، وما انتشر بينهم من أشهر الكنايات، مثل قوله: يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء

بوجه، مما اعتمد على إثارة قريحة المتلقي، وعدم استغرابه لما يسمعه؛ إذ هو مستعمل شائع فعلًا في بيئته اللغوية.

- اعتمدت مفارقة الموقف في الحديث النبوي الشريف على الموازنات والمقارنات بين الأحوال، وجاء ما يتعلق منها بالمصالح الدنيوية يحضُّ على سلوك إيجابي قصد إليه المتكلم، ولم يأمر به على وجه الإلزام والحتم، بل عمد إلى التخيير بين الحال ونقيضه لحث السامع على التزام مسلك معين، مع رفع الحرج عنه، كتخيير المسلمين في غنائم (هوازن)، مما كان له أثر بارز في تسامح السامعين إجماعًا، وتطييبهم الغنائم لرسول الله، صلى الله عليه وسلم يقضي فيها كيفما شاء.
- حملت مفارقة الموقف فيما يتعلق بالأمور الأخروية دلالات التحذير من الشرك، أو اقتراف ما يغضب الله تعالى، ومن ثم الندم بعد فوات الأوان، كطاعة آزر لنبي الله إبراهيم عليه السلام عند معاينته أهوال الآخرة، مما وجَّه السامع إلى مشهد لم يره، مفارقًا للصورة التي رسخت في ذهنه، على نحو ما أورد القرآن من عناد آزر، واستبعاده وقوع البعث والحساب يوم القيامة، وهو جوهر مفارقة الموقف وقوامه.
- تتسم مفارقة الموقف بكثير من السمات النفسية سواء السمات النفسية للمتكلم (الذات)، أو السمات النفسية للمتلقي، على النحو الذي يمكِّن الدرس البلاغي من الوقوف على سياق المقام، على النحو الذي يشترك مع كثير مما أورده البلاغيون القدماء، وإن اختلف في التسمية والاصطلاح.
- تمتاز المفارقات في البيان النبوي بدقة الصياغة وجمال النظم ، بل لا تقف عند هذا الحد وإنما تتجاوزه إلى حدود التهذيب والبناء .

التوصيات

أوصي بأهمية دراسة المفارقات في آيات القران الكريم، وكذلك في النصوص التي اقتصر الدرس البلاغي فيها على الجانب اللغوي والبديعي فحسب كالمقامات وغيرها.

وفي الختام

الله أسال أن ينفع بهذا البحث، وأن يكتب له القبول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- أحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، دط.

٢- إحياء علوم الدين لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، دط.

٣- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لأبى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، تحقيق: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥هـ.

٤- أدب الكتاب لأبى بكر محمد بن يحى الصولي، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، نظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، مصر – المكتبة العربية، بغداد، ط ١٣٤١هـ.

٥- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٦- الاستذكار لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا – محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧- أسرار البلاغة لأبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٨- الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة لعز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤م.

٩- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لإبراهيم بن محمد عصام الدين بن عربشاه الحنفي، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠- إعجاز القرآن للباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
١١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٢- الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ أبو المظفر عون الدين، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن
١٣- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٤- الأمثال لأبى عُبيد القاسم بن سلام عبد الله الهروي البغدادي تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٥- الأمثال من الكتاب والسنة لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون - دار أسامة، بيروت، دمشق.
١٦- البديع لأبى العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٧- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٨- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٩- البيان والتبيين لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٢٠- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، دط.
٢١- التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٢٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣- تطريز رياض الصالحين لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٤- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
٢٥- التمثيل والمحاضرة لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٢٧- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الهروي، أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٨- التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٩- الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢- جمهرة اللغة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٣- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٤- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني) لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، دط.

٣٥- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٣٦- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، ط٢٠٠٤م.

٣٧- خصائص النظم في (خصائص العربية) لأبي الفتح عثمان بن جني، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٨- دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٩- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حقَّق أصله، وعلَّق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الخُبَر، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٠- الرسائل الأدبية لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٤١- سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٢- شرح أحاديث من صحيح البخارى دراسة في سمت الكلام الأول تأليف د محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ،القاهرة، الطبعة الأولي، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٤٣- شرح ديوان الحماسة لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٤- شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، دط.

٤٦- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال لحسين بن محمد المهدي، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي.

٤٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٨- طرح التثريب في شرح التقريب لأبى الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي- أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، دار إحياء التراث العربي.

٤٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى العيني الحنفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٠- غريب الحديث لأبى عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥١- الغريبين في القرآن والحديث لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدَّم له وراجعه: فتحي حجازي- مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥٣- كتاب الصناعتين لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٥٤- كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٥٥- كتاب مؤتمر اللغة العربية الرابع، دبي، الإمارات، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٥٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٥٧- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري بن منظور الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٨- المتواري علي تراجم أبواب البخاري لأحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا، الكويت

٥٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

٦٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦١- مشكل الحديث وبيانه لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٦٢- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروفي بالخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٦٣- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦٤- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن زكريا بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٥- المغازي لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٦٦- المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة لمحمد العبد، مكتبة الآداب، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٦٧- المفارقة في شعر الرواد لقيس الحمزة الخفاجي، دار الأرقم للطباعة والنشر، بابل، العراق.

٦٨- المفارقة، دي. سي. ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٣م.
٦٩- مفتاح العلوم ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب السكاكي ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧٠- مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبى بكر محمد بن العباس الخوازمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٧١- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٧٢- المنتقى شرح الموطإ لأبى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.
٧٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢م.
٧٤- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٤م.
٧٥- موسوعة الفقه الإسلامي لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٧٦- نقد الشعر لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

٧٧- نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧٨- وحي القلم لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبى الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم- علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.